سلسلة زاد الواعظ: (٣)

المنتقى النفيس

من جميل كلام الإمام

عبد الحميد بن باديس

رحمه الله

إعداد

أبي عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

المنتقى النفيس
من جميل كلام الإمام
عبد الحميد بن باديس
رحمه الله

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

سلسلة زاد الواعظ: (٣)

المنتقى النفيس

من جميل كلام الإمام

عبد الحميد بن باديس

رحمه الله

إعداد

أبي عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

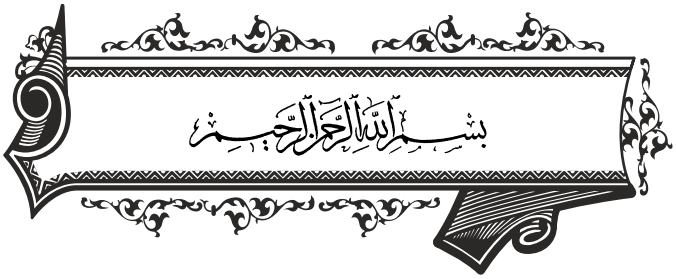

الحمدُ لله الَّذِي جمَّل الإنسان بالبيان، وجمَّل البيان بالقرآن، فالإنسان دون بيان حيوانٌ أبكم، والبيان دون قرآن كلام أَجْذم، وذو البيان والقرآن هو الأكمل الأعظم، قدراً وتقديراً، والأحسن الأقوم، عملاً وتفكيراً، والأسعد الأكرم، حالاً ومصيراً.

أحمدُه، أرسلَ محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً، وأنزلَ عليه القرآن تبصرة وذكرى، ومعجزة كبرى، حجَّة وتذكيراً، وشرع لنا من دينه الحنيف، مناهل العزِّ والسَّعادة، ومهَّد لنا مِنْ شرعه الشَّريف سُبل الحسنى والزيادة، رحمة منه- تعالى- وفضلاً كبيراً.

وأشكرُه، هدانا واجتبانا، فرضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّد نبيًّا، وبالقرآن إمامًا، وحبَّب إلينا ديننا، فوالله لو بُذِلَت لنا الدُّنيا بحذافيرها في تركه ما ساوت عندنا حبَّة رغامًا، توفيقًا منه تعالى ويقينًا صادقًا منَّا وبصراً بصيراً.

وأستغفرُه لِمَا كان منَّا من نقص وتقصير في الوفاء بعهده الحق، وشكر فضله الكبير، إنَّه كان عفواً غفاراً شكوراً.

وأصلِّي وأسلِّم على سيِّدنا محمَّد أشرف خلقه وأكرم رسله، فرَّق بالقرآن بين

الحق والباطل، وهدى به الضَّال وعلَّم به الجاهل، وجاهد به - في الله- جهاداً كبيراً.

وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، اقتفوا طريقته، وأحيوا سنَّته، فوقاهم الله شرَّ ذلك اليوم ولقَّاهم نضرةً وسروراً، وجزاهم بما صَبَرُوا جنَّةً وحريراً.

وعلى بقيَّة أمَّته، وأهل مِلَّته، لبَّوا دعوته وأمّوا غايته ناشطًا وحسيراً.

صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم نَلْقى محمَّداً ﷺ ونسعدُ بلقائه ونُحْشَر بين الأمم تحت لوائه، ونُجْزَى بمحبَّته - إن شاء الله تعالى- جزاءً موفوراً[1].

أمَّا بعد:

فَإِنَّ «الطِّينة الجزائريَّة طينة علم وذكاء إذا واتتها الظروف»[2]، ولقد أنجبت عبر العصور الماضية العديد من العلماء، والكثير من العظماء، ولو جئنا نعدِّدُ بعضهم لطال بنا المقام.

ومن بين هؤلاء الأعلام شيخ الإسلام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد حَمَلَ مع إخوانه في «جمعية علماء المسلمين» همَّ الإصلاح لِمَا أفسده

(١) «آثار الإمام عبد الحميد بن باديس» (١/ ١٦٢).

(٢) «آثار الإمام عبد الحميد بن باديس» (٤/ ١٥٢).

الاستعمار[1] الفرنسي، والنُّهوض بالدَّعوة بالكتاب والسنة، ومحاربة الشرك والبدعة، مع الحرص على لمِّ الشمل.

قال العلامة مبارك الميلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِنَّ في تأسيس هذه الجمعية لقضاءً على ظاهرتين من أدلِّ الدلائل على فساد تربيتنا:

إِحْدَاهُمَا: ما كان عليه أغلب علمائنا من التحاسد والشِّقاق حتَّى أنَّ البلدة الواحدة تجدُها منشقَّة إلى حزبين إن كان بها عالمين أو إلى ثلاثة إن كان بها ثلاثة، وهلمّ جرا.

الظَّاهِرَةُ الثَّانِيَةُ: ظاهرة الخضوع للعامة وطلب رضاها للطمع في مالها، فَأُهْمِلَت وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الَّتي لا حياة للتَّربية بدونها، وأصبح الغش من دلائل الكياسة وحسن السياسة، وفشت قاعدة: "إذا وجدت قوما يعبدون حمارا فعليك بكثرة الحشيش"، وكأنَّ من يحفظ هذه القاعدة أكثر كثيرا ممَّن يسمع حديث: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**».

وأملنا وطيد، وثقتنا بالله قوية أن يتمَّ القضاء على هاتين الظَّاهرتين بسلامة الجمعية من مكائد الكائدين، وطول حياتها لإحياء سنن الدين، وإنا لنرجو من

---

(١) قال العلامة محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو معنى مرادف للإثم، والبغي، والخراب، والظلم، والتعدّي، والفساد، والنهب، والسرقة، والشره، والقسوة، والانتهاك، والقتل، والحيوانية... إلى عشرات من مئات من هذه الرذائل تفسّرها آثاره وتنجلي عنها وقائعه» «آثاره» (٣/ ٥٠٦).

رجالها المخلصين أن يصدقوا ما عاهدوا الله عليه، غير مبالين بسخط من سخط»[1].

وهذا العلامة محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللَّهُ يتحدَّثُ عن مؤسِّس الجمعيَّة، العلامة بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ، فيقول: «باني النَّهضتين العلميَّة والفكريَّة بالجزائر؛ وواضع أسسها على صخرة الحقِّ، وقائد زحوفها المغيرة إلى الغايات العليا، **وَإِمَامُ الحَرَكَةِ السَّلَفِيَّة**؛ ومنشئ مجلة "الشهاب" مرآة الإصلاح وسيف المصلحين، ومربّي جيلين كاملين على الهداية القرآنية والهدْي المحمدي وعلى التفكير الصحيح، ومُحيي دوارس العلم بدروسه الحيَّة، ومفسّر كلام الله **عَلَى الطَّرِيقَة السَّلَفِيَّة** في مجالس انتظمت ربع قرن، وغارس بذور الوطنيَّة الصَّحيحة، وملقّن مباديها، علم البيان، وفارس المنابر، الأستاذ الرئيس الشيخ عبد الحميد بن باديس، أوَّل رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأوّل مؤسّس لنوادي العلم والأدب وجمعيات التربية والتعليم، رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي عنه.

وحسبُ ابن باديس من المجد التَّاريخي هذه الأعمال الَّتي أجملناها في ترجمته؛ وإنّ كل واحد منها لأصل لفروع، وفصل من كتاب، وإذا كان الرجال أعمالًا فإنَّ رجولة أخينا عبد الحميد تقوَّم بهذه الأعمال»[2].

---

(١) «آثار الشيخ مبارك الميلي» (١/ ٣٢٦).

(٢) «آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي» (٣/ ٥٥٢).

إنّ هذه الشَّخصية الفذَّة لهذا الإمام عليه رحمة الله تناولها العديد من الباحثين بالدِّراسة، ولا غرو، فَقَد دلى بدلوه وضرب بقوسه في مختلف الميادين:

فهو السياسي البارع، والدَّاعية الألمعي، والمصلح الذكي، المفسر المحدث الأصولي...

وتكميلا لهذه السلسلة: «**زاد الواعظ**»[1]؛ فإنَّ من فضل الله عليَّ أنِّي وقفتُ على العديد من الكلمات النَّافعة، والعبارات الرَّائعة في كِتَابَي الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ، وهُمَا:

١/ «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير»، دار ابن حزم.

٢/ «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ حَدِيث البَشِيرِ النَّذِير»[2]، دار الفضيلة.

فَانتقيتُها مِمَّا يقرب مِنْ ١٤٥٠ صفحة، قيَّدتها في أوراق مستقلَّة، ثمَّ بدا لي أَنْ أَجْمَعَها في بحثٍ مستقلٍّ مع إضافة بعض التَّعليقات المفيدة؛ ففيها إعانة للواعظ

---

(١) صدر منها ولله الحمد:

١/ من جميل كلام الإمامين ابن كثير وابن سعدي في تفسيريهما.

٢/ روائع الكلم من مشكاة الحكم.

٣/ المنتقى النفيس من جميل كلام الإمام بن باديس.

٤/ من جميل كلام الإمام القرطبي في تفسيره.

(٢) كلاهما بتحقيق الشيخ أبي عبد الرحمن محمود الجزائري حفظه الله.

في موعظته، وللمحاضر في محاضرته، وللخطيب في خطبته... وقسَّمته إلى قسمين:

أ/ من جميل كلام الإمام بن باديس في«مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير».

ب/ من جميل كلام الإمام بن باديس في «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ حَدِيث البَشِيرِ النَّذِير».

ومِمَّا شَجَّعَنِي على هذا العمل أنَّ الإمام ابن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ في كلماته وما سطَّره يمينه قد جمع بين عذوبة الأسلوب وقوة المعنى والحجَّة، كما أنَّه رَحِمَهُ اللَّهُ تبوَّء المكانة العالية والمرتبة الغالية عند الرَّاعي والرَّعية في هذه البلاد حرسها الله، وقد شجَّعنِي العديد من المشايخ وطلبة العلم على إخراج هذا الكتاب، حفظ الله الجميع.

مع اعترافي بقصور باعي، وضعف علمي، وقلَّة اطلاعي، أسأل الله أ ن يعفو عني، وإن كان من جهد يذكر فإنَّه لم يكن لي في هذه الوريقات إلَّا التَّهذيب والتَّبويب والتَّرتيب..

وأقول كما قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أيُّها الشَّعب الجزائري! أيُّها الشَّعب المسلم! أيُّها الشَّعب العربي الأَبي!

حَذَارِ مِنَ الَّذين يمنُّونك ويخدعونَك، حَذَارِ مِنَ الَّذين يُنَوِّمُونك ويُخَدِّرونك، حَذَار مِنَ الَّذين يأتونك بِوَحْيٍ من غير نَفْسِك وضَمِيرك، وَمِنْ غَيْر

تَاريخِك وقَوْمِيتِك، وَمِنْ غَيْر دِينِك وَمِلَّتِك وأبطال دِينك وَمِلَّتِك.

اسْتَوْحِ الإسلام ثُمَّ استوح تَارِيخَك ثم استوحِ قَلْبَك.

اعْتَمِد عَلَى الله ثُمَّ عَلَى نَفْسِك، وَسَلَام الله عَلَيْك»[1].

مُحِبُّكُم فِي الله
أبو عبد العزيز منير الجزائري
abou-abdelaziz@hotmail.fr

(١) آثاره (٣/ ٣٦٥).

ترجمة مختصرة

للإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ

اسْمُهُ وَنَسَبُهُ:

هو عبد الحميد بن محمد بن مكي بن باديس الصنهاجي.

وينتهي نسبه إلى المعز بن باديس مؤسس الدولة الصنهاجية الأولى التي خلفت الأغالبة على مملكة القيروان.

مَوْلِدُهُ:

ولد عبد الحميد بن باديس بمدينة قسنطينة يوم الأربعاء ١٠ ربيع الثاني ١٣٠٨ هـ/ الموافق لـ ٤/ ١٢/ ١٨٨٩.

ووالده: محمد مصطفى بن مكي بن باديس، صاحب مكانة مرموقة وشهرة واسعة.

وأمه: السيدة زهيرة بنت علي الأكحل بن جلول.

نَشْأَتُهُ العِلْمِيَّة وأَعْمَالُه:

حفظ الفرآن الكريم على الشيخ المداسي، ولما يبلغ الثالثة عشر من عمره.

أخذ مبادئ العلوم الشرعية والعربية على الشيخ حمدان الونيسي.

سافر إلى جامع الزيتونة بتونس، فتتلمذ على خيرة علمائه كالشيخ محمد

النخلي والشيخ الطاهر بن عاشور وغيرهما، وتخرج منه بشهادة التطويع العالمية عام ١٩١١.

في عام ١٩١٢ عاد من تونس، ليلقي بعض الدروس في «الجامع الكبير» بقسنطينة من كتاب «الشفا» للقاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ، لكنه سرعان ما منع.

و في عام ١٩١٣ غادر قسنطينة متوجها إلى الحجاز لأداء فريضة الحج.

وفي المدينة النبوية التقى بأستاذه حمدان الونيسي، كما تعرف على الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

رجع ابن باديس إلى قسنطينة ليباشر التعليم في «الجامع الأخضر» بسعي من والده لدى الحكومة.

وفي «جامع الأخضر» ختم تفسير القرآن تدريسا في ربع قرن، كما أتم شرح كتاب «الموطأ» لإمام دار الهجرة مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى تدريسا أيضا.

أصدر بعد تأسيس «المطبعة الجزائرية الإسلامية» عدة جرائد من أشهرها: «المنتقد»و «الشهاب» و«السنة» و«الشريعة» و«الصراط»و«البصائر»، لتبليغ الدعوة الإصلاحية السلفية.

وفي سنة ١٩٣١ تم تأسيس «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» فانتخب الشيخ رئيسا لها.

تَلَامِيذُهُ:

وهم كثيرون، من أبرزهم: العلامة الشيخ مبارك الميلي، والشيخ الفضيل

الورثلاني، وموسى الأحمدي، والهادي السنوسي، وباعزيز بن عمر، ومحمد الصالح بن عتيق، ومحمد الصالح رمضان وغيرهم.

ثَنَاءُ أَهْلِ العِلْمِ والفَضْلِ عَلَيْهِ:

قال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي فيه: «باني النهضتين العلمية والفكرية بالجزائر؛ وواضع أسسها على صخرة الحق، وقائد زحوفها المغيرة إلى الغايات العليا، وإمام الحركة السَّلفية..».

وقال الشيخ مبارك الميلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأستاذ العظيم والمرشد الحكيم، عدتنا العلمية وعمدتنا الإصلاحية».

وقال الشيخ الطيب العقبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المصلح الفذّ، والعلامة الذي ما أنجبت الجزائر منذ أحقاب مثله إلا قليلا».

عَقِيدَتُهُ:

كان العلامة ابن باديس سلفيًّا، متمسِّكا بالكتاب الكريم والسنَّة الصَّحيحة، معتدا بفهم السَّلف الصالح لهما، وقد قرَّر ذلك في أكثر من مناسبة، منها ما حرره في خاتمة «رسالة جواب سؤال عن سوء مقال».

حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الواجب على كل مسلم في كل مكان وزمان أن يعتقد عقدا يتشربه قلبه وتسكن له نفسه؛ وينشرح له صدره، ويلهج به لسانه، وتنبني عليه أعماله، أنَّ دين الله تعالى مِنْ عقائد الإيمان، وقواعد الإسلام، وطرائق الإحسان إنَّما هو في

القرآن والسنَّة الثَّابتة الصَّحيحة وعمل السَّلف الصَّالح مِنَ الصَّحابة والتَّابعين وأتباع التَّابعين وأنَّ كل ما خرج عن هذه الأصول ولم يحظ لديها بالقبول- قولًا كان أو عملًا أو عقدا أو احتمالًا فإنَّه باطل من أصله- مردود على صاحبه- كائنا من كان في كل زمان ومكان».

آثارُهُ:

لم يصل إلينا منها سوى:

١/ «تفسير ابن باديس» أو «مجالس التَّذكير من كلام الحكيم الخبير».

٢/ «من هدي النبوة» أو «مجالس التَّذكير من حديث البشير النَّذير ﷺ».

٣/ «رجال السلف ونساؤه».

٤/ «القصص الهادف».

٥/ «العقائد الإسلامية من الآيات القرآنيَّة والأحاديث النبويَّة».

٦/ «مبادئ الأصول».

٧/ «رسالة جواب سؤال عن سوء مقال».

٨/ «العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي المالكي» تحقيق وتقديم.

٩/ «تحفة المستهدي في إثبات خروج المهدي».

١٠/ «التأفين لمنكر التأبين».

كما جُمعت مقالاته في «الشِّهاب» و«البصائر» وغيرهما ونشرت ضمن آثاره غير مرة.

وَفَاتُهُ:

توفي الشيخ عبد الحميد بن باديس بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال مساء الثلاثاء ٨ ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ الموافق لـ ١٦/ ٤/ ١٩٤٠م، ودفن في روضة أسرته، بحي قرب مقبرة قسنطينة.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته[1].

(١) استفدت هذه الترجمة من مقدمة تحقيق الشيخ أبي عبد الرحمن محمود حفظه الله لـ «مجالس التذكير من حديث البشير النذير» (ص٤٩).

من جميل كلام
الإمام عبد الحميد بن باديس في
«مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير»

حَاجَةُ الخَلْقِ إِلَى التَّذْكِير[1]

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وحاجة العباد إلى هذا التَّذكير أعظم ما يحتاجون إليه وأشرف وألزم.

فإن سعادتهم الحقيقية في هذه الحياة بإنارة عقولهم، وزكاة نفوسهم واستقامة سلوكهم.

وفي الحياة الأخرى بنعيم الجنان، وحلول الرضوان- إنما هي بإيمانهم بربهم، وشكرهم له.

---

(١) **فائدة**: التَّذكير نوعان.

«تذكير بما لم يعرف تفصيله، مما عرف مجمله بالفطر والعقول فإن الله فطر العقول على محبة الخير وإيثاره، وكراهة الشر والزهد فيه، وشرعه موافق لذلك، فكل أمر ونهي من الشرع، فإنه من التذكير، وتمام التذكير، أن يذكر ما في المأمور به، من الخير والحسن والمصالح، وما في المنهي عنه، من المضار.

والنوع الثاني من التذكير: تذكير بما هو معلوم للمؤمنين، ولكن انسحبت عليه الغفلة والذهول، فيذكرون بذلك، ويكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم، وينتبهوا ويعملوا بما تذكروه، من ذلك، وليحدث لهم نشاطًا وهمة، توجب لهم الانتفاع والارتفاع» «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص٨١٣).

وإن دلائل وجوده ووحدانيته وقيوميته، وآثار فضله وإحسانه ورحمته- ماثلة في الكون بادية للعيان، داعية إلى الشكر، هادية إلى الإيمان، لكن العقول كثيراً ما تكون مغلولة بقيود أهوائها، محجوبة بحجب غفلتها!

فتعمى عن تلك الدلائل والآثار، فتكفر كفر جحود وعناد، أو كفر عصيان وطغيان؛ ويكون تورطها في كبائر الذنوب وصغائرها على مقدار تلك الحجب وتلك القيود. وليس - لغير من عصم الله - انفكاك أو خروج منها كلها» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (١/ ٤٩).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«القرآن كلام الجبَّار، وسيِّد الأذكار، فيه من العلم ما يفتح البصائر، ومن الأدب ما ينوِّر السرائر، ومن العبر ما يبهر الألباب، ومن الحكم ما يفتح للعلم والعمل كل باب، هو القول الفصل، والحكم العدل، فمن استهدى بغيره ضلّ، ومن سلك غير نهجه زلّ، ومن اتَّبعه كان على الصِّراط المستقيم» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير » (١/ ٩٥).

---

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«...سبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيا، وإلى الإيمان وحقائقه مناديا،وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيا، وإلى الطريق الرشاد هاديا، لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذانا واعية، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوبا خالية، ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات، فأطفأت مصابيحها، وتمكنت منها أيدي الغفلة والجهالة فأغلقت أبواب رشدها وأضاعت مفاتيحها، وران عليها كسبها فلم ينفع فيها الكلام،وسكرت بشهوات الغي وشهادة الباطل، فلم تصغ بعده إلى الملام، ووعظت بمواعظ أنكى فيها الأسنة والسهام، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة، وأسر الهوى والشهوة وما لجرح بميت إيلام» «الوابل الصيب والكلام الطيب» (ص ٧٢).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«كان يدعو النَّاس كلَّهم، إذ هو رسول الله إلى النَّاس كلّهم، فكتب الكتب وأرسل الرُّسل، فبلغت دعوته إلى الأمم وملوك الأمم.

كان يدعو الكافرين كما يدعو المؤمنين، يدعو أولئك إلى الدُّخول في دين الله ويدعو هؤلاء إلى القيام بدين الله، فلم ينقطع يومًا عن الإنذار والتَّبشير والوعظ والتَّذكير.

كان يدعو إلى الله على بيِّنَة وحجَّة يحصل بها الإدراك التَّام للعقل، حتَّى يصير الأمر المدرك واضحًا لديه كوضوح الأمر المشاهد بالبصر، فهو على بيِّنة ويقين من كل ما يقول ويفعل، وفي كلِّ ما يدعو من وجوه الدَّعوة إلى الله في حياته كلِّها، وفي جميع أحواله.

وكانت دعوته المبنيَّة على الحجَّة والبرهان، مشتملة على الحجة والبرهان، فكان يستشهدُ بالعقل، ويعتضد بالعلم، ويستنصر بالوجدان، ويحتج بأيَّام الله في الأمم الخالية، وما استفاض من أخبارها، وبقي من آثارها من أنباء الأوَّلين، وما يمرُّ النَّاسُ عليه ﴿مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ﴾ [الصَّافَّاتِ] » «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ

كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (١/ ١٢٣)[1].

(١) قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقولهم: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ لو عرفوا حقائق الرِّجال والصِّفات التي يعرف بها علو قدر الرجل وعظم منزلته عند الله وعند خلقه لعلموا أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ هو أعظم الرجال قدرا، وأعلاهم فخرا، وأكملهم عقلا، وأغزرهم علما، وأجلهم رأيا وعزما وحزما، وأكملهم خلقا وأوسعهم رحمة وأشدهم شفقة وأهداهم واتقاهم.

هو قطب دائرة الكمال، وإليه المنتهى في أوصاف الرجال، ألا وهو رجل العالم على الإطلاق، يعرف ذلك أولياؤه وأعداؤه، فكيف يفضل عليه المشركون من لم يشم مثقال ذرة من كمال؟!ومن جرمه ومنتهى حمقه أن يجعل إلهه الذي يعبده ويدعوه ويتقرب إليه صنما أو شجرا أو حجرا لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، وهو كلٌّ على مولاه يحتاج لمن يقوم بمصالحه، فهل هذا إلا من فعل السفهاء» «تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلاَمِ المَنَّانِ» (ص ٧٦٥).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وكما فضَّل بعض خلقه على بعض في دار الابتلاء، كذلك فضَّل بعضهم على بعض في دار الجزاء، لكنَّ التَّفضيل هنالك أكبر، والتَّفاوت بين العباد أظهر، في مواقف القيامة، وفي داري الإقامة، ويا بعد ما بين مَنْ في الجنَّة ومَنْ في النَّار!

وأهل النَّار متفاوتون في دركاتها، وأهل الجنَّة متفاوتون في درجاتها...

فللآخرة ونيل درجاتها فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون»

«مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (١/ ١٨٠)[1].

---

(١) قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«.... يخبرُ تعالى عن مآلهم أنهم أخسر الناس صفقة في الدار الآخرة لأنهم استبدلوا الدركات عن الدرجات، واعتاضوا عن نعيم الجنان بحميم آن، وعن شرب الرحيق المختوم بسموم وحميم، وظل من يحموم،وعن الحور العين بطعام من غسلين، وعن القصور العالية بالهاوية، وعن قرب الرحمن ورؤيته بغضب الديان وعقوبته، فلا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون» «تَفْسِيرُ القُرْآنِ العَظِيمِ» (٢/ ٥٧٦).

وقال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإن لله وإنا إليه راجعون على **من باع نفسه في سوق الخسران**، وترك العز ورضي بالهوان، وبذل =

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«اللِّسان أداةُ البيان، وتُرْجمان القلب والوجدان،والكلام به يتعارف الناس ويتقاربون، وبه يتحاجون ويتفاضلون، ولولاه لما ظَهَرت ثمرات العقول والمَدَارك، ولَمَا تلاحقتْ الأفكار والمشاعر، ولَمَا تزايدت العلوم والمعارف، ولَمَا ترقّى الإنسان في درجات أنواع الكمالات، ولما امتاز على بقيّة الحيوانات.

فهو رابطة أفراد النوع الإنساني وعشائره وأممه، وبريد عقله وواسطة تفاهمه.

فإذا حسن قويت روابط الإلفة، وتمكنت أسباب المحبة، وامتد رواق السَّلام بين الأفراد والعشائر والأمم، وتقاربت العقول والقلوب بالتفاهم، وتشابكت الأيدي في التعاون والتآزر.

ويعني العالم من وراء ذلك تقرر الأمن واطراد العمران.

وإذا قبح كان الحال على ضد ذلك..» « مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (١/ ٢٨٦)[1].

=

مهجته لعذاب النيران، وبارز بالخطايا الملك الديان..» «بستان الواعظين ورياض السامعين» (ص٤٤).

(١) **فائدة:**

=

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«..فلا يُقَال للكافر عند دعوته أو مجادلته: إنَّك مِنْ أهل النار، ولكن تُذْكر الأدلَّة على بطلان الكفر، وسوء عاقبته.

ولا يُقَال للمبتدع: يا ضال، وإنَّما تُبَيَّن البدعة وقبحها.

ولا يُقَال لمرتكب الكبيرة: يا فاسق، ولكن يبين قبح تلك الكبيرة وضررها وعظم إثمها.

فتقبح القبائح والرذائل في نفسها، وتجتنب أشخاص مرتكبها.

=

«اللِّسان فيه عشر خصال يجب على العاقل أن يعرفها ويضع كل خصلة منها في موضعها:

هو أداة يظهر بها البيان، وشاهد يخبر عن الضمير، وناطق يرد به الجواب، وحاكم يفصل به الخطاب، وشافع تدرك به الحاجات، وواصف تعرف به الأشياء، وحاصد يذهب الضغينة، ونازع يجذب المودة، ومسل يذكي القلوب، ومعز ترد به الأحزان...

الواجب على العاقل أن ينصف أذنيه من فيه ويعلم أنه إنما جعلت له أذنان وفم واحد ليسمع أكثر مما يقول لأنه إذا قال ربما ندم وإن لم يقل لم يندم وهو على رد ما لم يقل أقدر منه على رد ما قال والكلمة إذا تكلم بها ملكته وإن لم يتكلم بها ملكها والعجب ممن يتكلم بالكلمة إن هي رفعت ربما ضرته وإن لم ترفع لم تضره كيف لا يصمت ورب كلمة سلبت نعمة »«روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص٣٢).

إذ رُبَّ شخص هو اليوم من أهل الكفر والضَّلال تكون عاقبته إلى الخير والكمال.

ورُبَّ شخص هو اليوم من أهل الإيمان ينقلب - والعياذ بالله تعالى- على عقبه في هاوية الوبال.

وخاطب الله تعالى نبيه ﷺ: أنه لم يرسله وكيلاً على الخلق، حفيظًا عليهم، كفيلاً بأعمالهم.

فما عليه إلاّ تبليغ الدَّعوة، ونُصْرة الحقّ بالحقّ، والهداية والدلالة إلى دين الله وصراطه المستقيم.

خَاطَبه بهذا ليؤكِّد لخلقه ما أمرهم به، مِنْ قول الَّتي هي أحسن للموافق والمخالف.

فلا يحملنّهم بغض الكفر والمعصية على السوء في القول لأهلها، فإنَّما عليهم تبليغ الحق كما بلَّغه نبيُّهم ﷺ.

ولن يكون أحدٌ أحرص منه على تبليغه؛ فحسبهم أن يكونوا على سنته وهديه.

أحيانا الله عليهما، وأماتنا عليهما، وحشرنا في زمرة أهلهما، آمين» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (١/ ٢٩٣)[1].

(١) قال العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

=

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

« نَتناول القرآن العظيم دواءً مِنْ عند ربِّنا:

شفاءً لأمراض عقولنا وأمراض نفوسنا، وأمراض مجتمعنا، فنتطلَّب ذلك منه؛ بتدبُّر وتفهُّم إشاراته، ووجوه دلالاته.

وشفاءً أيضـًا لأبداننا؛ فنفعل كما كان يفعل النَّبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه، على ما تقدَّم في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعلى ما جاء من نحو ذلك[1]، ممَّا ثبت عنه عليه وآله الصَّلاة والسَّلام، وانتهى إليه علمنا،غير مقصِّرين ولا غالين، وعلى

=

«نوصي إخواننا جميعا بالدعوة إلى الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

أمر الله سبحانه بذلك مع جميع الناس ومع المبتدعة إذا أظهروا بدعتهم، وأن ينكروا عليهم سواء كانوا من الشيعة أو غيرهم - فأي بدعة رآها المؤمن وجب عليه إنكارها حسب الطاقة بالطرق الشرعية »«مجموع فتاويه» (٧/ ١٧٦).

(١)عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ بِـ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ» رواه البخاري (٥٧٤٨).

ربِّنا متوكِّلين.

سائلين الله أن يشفينا بالقرآن أجمعين، آمين يا رب العالمين» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (١/ ٣٦١)[1].

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أخبر سبحانه عن القرآن أنَّه شفاء فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[فُصِّلَتْ: ٤٤].

وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾[الإِسْرَاءِ: ٨٢].

و﴿مِنَ﴾ هنا لبيان الجنس لا للتَّبعيض، فإنَّ القرآن كلّه شفاء... فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب، فلم ينزل الله سبحانه من السَّماء شفاء قط أعمّ ولا أنفع ولا أعظم ولا أشجع في إزالة الدَّاء من القرآن» «الجواب الكافي» (ص ٨).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«رأى بعض النَّاس المَدَنيَّة الغربيَّة المُسَيْطرة اليوم على الأرض- وهي مدنيَّة ماديَّة في نهجها وغايتها ونتائجها، فالقوَّة عندها فوق الحق والعدل والرَّحمة والإحسان- فقالوا: إنَّ رجال هذه المدنيَّة هم الصَّالحون الَّذين وعدهم الله بإرث الأرض، وزعموا أنَّ المراد بـ ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ في الآية: الصالحون لعمارة الأرض[1].

فيالله للقرآن، وللإنسان، من هذا التَّحريف السَّخيف!! كان عمارة الأرض هي كلّ شيء؛ ولو ضلَّت العقائد، وفسدت الأخلاق، واعوجَّت الأعمال وساءت الأحوال، وعُذِّبت الإنسانيَّة بالأزمات الخانقة، ورُوِّعَت بالفتن والحروب المخرِّبة الجارفة، وهدَّدت بأعظم حرب تأتي على الإنسانيَّة من أصلها والمدنية من أساسها.

---

(١) قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء:١٠٥].

هذه هي بلايا الإنسانية التي يشكو منها أبناء هذه المدنية المادية التي عمَّرت الأرض وأفسدت الإنسان، ثم يريد هذا المحرِّف أن يطبِّق عليها آية القرآن: كتاب الحق والعدل والرحمة والإحسان، وإصلاح الإنسان ليصلح العمران.

فأما الصَّالحون، فهو لفظ قرآني كما قدمناه، وقد شرف أهله بإضافتهم إلى الله في قوله: ﴿عِبَادِيَ﴾ فَحَمْله على الصَّالحين لعمارة الأرض تحريف للكلم عن مواضعه أبشع التَّحريف وأبطله، فليحذر المؤمن منه ومن مثله من تحريفات المبطلين والمفتونين»« مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير».

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ما أُصِيب المسلمون في أعظم ما أصيبوا به إِلَّا بإهمالهم لأمر الاجتماع ونظامه: إمَّا باستبداد أئمتهم وقادتهم، وإما بانتشار جماعتهم بضعف روح الدِّين فيهم، وجهلهم بما يفرضه عليهم، وما ذاك إلاَّ من سكوت علمائهم وقعودهم عن القيام بواجبهم: في مقاومة المستبدين وتعليم الجاهلين، وبث روح الإسلام الإنساني السَّامي في المسلمين.

فعلى أهل العلم- وهم المسؤولون عن المسلمين بما لهم من إرث النبوة فيهم- أَنْ يقوموا بما أرشدت إليه هذه الآية الكريمة(١)؛ فينفخوا في المسلمين روح الاجتماع والشُّورى، في كل ما يهمُّهم من أمر دينهم ودنياهم، حتَّى لَا يَسْتَبِدّ بهم مُسْتَبِدّ، ولا يتخلَّف منهم متوان، وحتَّى يظهر الخَاذل لهم ممن ينتسب إليهم، فيُنْبذ ويُطْرح ويُسْتَغنى عنه بالله وبالمؤمنين.

---

(١) قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾[النور: ٦٢].

امتثال ورجاء:

لنجعل المصلحة العامة غايتنا والمقدمة عندنا، حتى لا يكون- إن شاء الله- في مصالحنا الخاصة ما يصرفنا أو يشغلنا عنها، راجين من الله تعالى أن يعيننا على ما قصدنا، وأن يوفقنا إلى استعمال كل مصلحة خاصة لنا في مصلحة عامة لنا ولإخواننا، إنه نعم الموفق ونعم المعين» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (١/ ٤٢٦)[1].

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَمَتَى تَرَكَ النَّاسُ بَعْضَ مَا أَمَرَهُمْ اللهُ بِهِ وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ وَإِذَا تَفَرَّقَ الْقَوْمُ فَسَدُوا وَهَلَكُوا وَإِذَا اجْتَمَعُوا صَلَحُوا وَمَلَكُوا؛ فَإِنَّ الْجَمَاعَةَ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةَ عَذَابٌ.

وَجِمَاعُ ذَلِكَ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ» «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٢١).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«القُرْآن أَعْجَز العرب ببلاغته، حتَّى عرفوا - وعرف العلماء بلسانهم المرتاضين ببيانهم - أنَّه ليس مثله من طوق البشر.

هـذه هـي النَّاحيـة الظَّـاهرة في إعجـاز القـرآن والاسـتدلال بـه لـه ولمـن أتى به ﷺ.

وهنالك ناحية أخرى هي أعظم وأعمّ: وهي ناحيته العلميَّة الَّتي يذعن لها كلُّ ذي فهم من جميع الأمم، في كل قطر وفي كل زمن.

وهذه النَّاحية هي الَّتي احتجَّ بها في هذا الموطن[1]:

فقد استدلَّ على أنَّ القرآن لا يمكن أن يكون أتى به محمد ﷺ من عنده، ولا يمكن أن يستعين عليه بغيره، ولا أن يكون من أوضاع الأوائل، بأنه ينطوي على أشياء مِنْ أسرار هذا الكون لا يعلمها إلَّا خالقه، فمن ذلك:

---

(١) عند قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان].

ما أنبأ به من أسرار الأمم الخاليَّة، وبيّن من أسرار الكتب الماضيَّة.

وما أنبأ من أحداث مستقبلة، وما ذكر من حقائق كونيَّة، كانت لذلك العهد عند جميع البشر مجهولة؛ كالزَّوجية في كلِّ شيء، وسبح الكواكب في الفضاء، وسير الشَّمس إلى مستقر مجهول معين عند الله لها.

وغير ذلك من أسرار العمران والاجتماع، وما تصلح عليه حياة الإنسان، ممَّا تتوالى على تصديقه تجارب العلماء إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم.

فكتاب اشتمل على كل هذه الأسرار لا يمكن أن يأتي به مخلوق.

ترغيب:

قد دعانا الله إلى العلم ورغبنا فيه في غير ما آية، وأعلمنا أنه خلق لنا ما في السموات وما في الأرض جميعـًا.

وأمرنا بالنظر فيما خلقه لنا وأعلمنا هنا أن هذه المخلوقات أسرار بينها القرآن واشتمل عليها.

وكان ذلك من حجته العلمية على الخلق فكان في هذا ترغيب لنا في التقصي في العلم، والتعمق في البحث، لنطلع على كل ما نستطيع الاطلاع عليه من تلك الأسرار: أسرار آيات الأكوان والعمران، وآيات القرآن؛ فنزداد علمـًا وعرفانـًا، ونزيد الدين حجة وبرهانـًا، ونجني من هذا الكون جلائل ودقائق النعم، فيعظم شكرنا للرب الكريم المنعم.

فقهنا الله في كتابه، ووفقنا إلى الاهتداء به، والسير على سننه» «مَجَالِسُ

التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ١٩)[1].

(١)قال الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وإنَّ كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هدي وغي، فترى كل ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد،فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام، وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها،هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب، تبهر العقول وتسلب القلوب، وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب» من مقدمة «الإتقان في علوم القرآن» (١/ ٩).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«كلُّ من اتَّصل بك مِنْ أهلك، وبنيك، وأبيك، وأمِّك، وأصحابك، وعشيرتك، وقومك، وكل من ترتبط به برباط من أبناء جنسك، هو فتنة وامتحان لك[1]:

---

(١) قال الإمام محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [ ]، أمر تعالى الناس في هذه الآية الكريمة أن يعلموا: أن أموالهم وأولادهم فتنة يختبرون بها، هل يكون المال والولد سببًا للوقوع فيما لا يرضى الله؟ وزاد في مواضع آخر أن الأزواج فتنة أيضًا، كالمال والولد، فأمر الإنسان بالحذر منهم أن يوقعوه فيما لا يرضى الله، ثم أمره إن اطلع على ما يكره من أولئك الأعداء الذين هم أقرب الناس له، وأخصهم به، وهم الأولاد، والأزواج أن يعفو عنهم، ويصفح ولا يؤاخذهم، فيحذر منهم أولاً، ويصفحعنهم إن وقع منهم بعض الشيء، وذلك في قوله في ﴿التغابن﴾: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾[التَّغَابُن].

وصرح في موضع آخر بنهي المؤمنين عن أن تلهيهم الأموال والأولاد عن ذكره جل وعلا، وأن من وقع في ذلك فهو الخاسر المغبون في حظوظه، وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ =

هل تقوم بواجبك نحو من جلب خير له؟

أو دفع شرٍّ عنه؟

أو جلب خير منه لغيره؟

أو دفع شره عن غيره؟

وهل تكف يدك عن شيئه؟

وتكف بصرك عمَّا مُتِّع به، وتسأل الله مِمَّا عنده من فضله؟.

وإنَّما تقوم بواجبك نحوه ممَّا تقدم، وتكف يدك وعينك عنه، وتسأل الله ممَّا عنده راضياً بما قسم لك، معتقداً الخير كلَّ الخير في قسمه؛ إذا تدرعت بالصبر على إتيانه، وإن كان عليك ثقيلاً.

والكف عمَّا يطلب منك الانكفاف عنه، وإن كان منك قريباً، وفي طبعك لذيذاً.

وإنَّما يكون لك هذا الصَّبر، إذا كنت دائم اليقين بعلم الله بك، واطِّلاعه عليك، وأنَّه كان بك بصيراً.

هذه الحقائق كلُّها هَدَتنا هذه الآية الكريمة(١) إليها:

= ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون]، والمراد بالفتنة في الآيات: الاختبار والابتلاء، وهو أحد معاني الفتنة في القرآن»«أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٢/ ٥٢).

(١) قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي =

هَدَتنا إلى أنَّا امتُحِنَّا ببعضنا، وأنَّ الَّذي يخلصنا في هذا الامتحان، ويخرجنا سالمين هو الصَّبر.

وأنَّ حالتنا في الامتحان منكشفة لمن سيجازينا عليها.

فلنهتد بهدايتها إلى ما هدتنا إليه، ولنتدرّع في هذا الامتحان العظيم بالصبر المتين، ولنستحضر في قلوبنا مراقبة الله لنا؛ لتثبت قدمنا في مقام الصبر بروح اليقين، فبذلك نخرج - إن شاء الله تعالى- من نار الفتنة ذهبًا خالصًا نقيًا، وجوهراً طيبًا زكيا، فنسعد في الدارين برضى رب العالمين والله وليّ التوفيق»« مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ٣٤).

= ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان].

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ونحن- معشر المسلمين- قد كان منَّا للقرآن العظيم هجر كثير في الزَّمان الطويل، وإنْ كنَّا به مؤمنين:

١ - بَسَط القرآن عقائد الإيمان كلَّها بأدلتها العقليَّة القريبة القاطعة فهجرناها، وقلنا: تلك أدلَّة سمعية لا تحصل اليقين، وأخذنا في الطرائق الكلامية المعقّدة، وإشكالاتها المتعدِّدة، واصطلاحاتها المُحْدثة، ممَّا يصعب أمره على الطَّلبة فضلاً عن العامَّة.

٢ - وبَيَّن القرآن أُصُول الأحكام، وأمهَّات مسائل الحلال والحرام، ووجوه النَّظر والاعتبار، مع بيان حكم الأحكام وفوائدها في الصَّالح الخاص والعام، فهجرنا، واقتصرنا على قراءة الفروع الفقهيَّة مجرّدة بلا نظر، جافَّة بلا حكمة، محجبَّة وراء أسوار من الألفاظ المختصرة، تفنى الأعمار قبل الوصول إليها.

٣ - وبيَّن القرآن مكارم الأخلاق ومنافعها ومساوىء الأخلاق ومضارها، وبيَّن السبيل للتخلّي عن هذه والتحلّي بتلك، ممَّا يحصل به الفلاح بتزكيَّة النَّفس والسَّلامة مِنَ الخَيْبة بتدسيتها.

فهجرنا ذلك كلَّه، ووضعنا أوضاعا من عند أنفسنا، واصطلاحات من اختراعاتنا، خرجنا في أكثرها عن الحنيفية السمحة إلى الغلو والتنطُّع، وعن السنة البيضاء إلى الأحداث والبدع، وأدخلنا فيها من النسك الأعجمي، والتخيل الفلسفي ما أبعدها غاية البعد عن روح الإسلام، وألقى بين أهلها بذور الشقاق والخصام، وآل الحال بهم إلى الخروج من أثقال أغلالها، والاقتصار على بقية رسومها للانتفاع منها، ومعارضة هداية القرآن بها.

٤ - وعرض القرآن علينا هذا الكون وعجائبه ونبهنا على ما فيه من عجائب الحكمة ومصادر النعمة، لننظر ونستفيد ونعمل.

فهجرنا ذلك كله إلى خريدة العجائب، وبدائع الزهور، والحوت والصخرة، وقرن الثور!

٥ - ودعانا القرآن إلى تدبره وتفهمه والتفكر في آياته ولا يتم ذلك إلاّ بتفسيره وتبيينه، فأعرضنا عن ذلك وهجرنا تفسيره وتبيينه.

سبيل النجاة:

لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المنوَّع الذي نذوقه ونقاسيه:

إلا بالرجوع إلى القرآن: إلى علمه وهديه.

وبناء العقائد والأحكام والآداب عليه.

والتفقه فيه وفي السنة النبوية وشرحه وبيانه.

والاستعانة على ذلك بإخلاص القصد، وصحَّة الفهم، والاعتضاد بأنظار

العلماء الرَّاسخين، والاهتداء بهديهم في الفهم عن ربِّ العالمين.

وهذا أمر قريب على من قرَّبه الله عليه، ميسَّر على من توكَّل على الله فيه.

وقد بدت طلائعه – والحمد لله – وهي آخذة في الزيادة إن شاء الله، وسبحانه من يحيي العظام وهي رميم» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ٤٢)[1].

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فائدة:

هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والاصغاءإليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وان قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به»« الفوائد» (ص٨٢).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«انظر إلى هذه الحكمة في هذا الترتيل: كيف كان تنزل على حسب الوقائع؟

أليس في هذا قدوة صالحة لأئمة الجُمَع وخطبائها: في توخيهم بخطبهم الوقائع النازلة، وتطبيقهم خطبهم على مقتضى الحال؟

بلى والله، بلى والله!

ولقد كانت الخطبة النبويَّة، والخطب السَّلفية كلّها على هذا المنوال، تشتمل مع الوعظ والتَّذكير على ما يقتضيه الحال[1].

وأمَّا هذه الخطب المحفوظة المتلوَّة على الأحقاب والأجيال فما هي إلاّ مظهرٌ مِنْ مظاهر قصورنا وجمودنا.

فإلى الله المشتكى وبه المستعان» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ٥٨).

---

(١) كما ذكر ذلك الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان يأمرهم ﷺ بمقتضى الحال في خطبته، فإذا رأىَ منهم ذا فاقة وحاجة، أمرهم بالصدقة، وحضهم عليها...» «زاد المعاد في هدي خير العباد» (١/ ٤٢٨).

و«الأحسن أن يجدد الخطيب الخطبة بقدر ما تيسر له ذلك؛ لما في ذلك من زيادة العلم والتشويق وقوة التأثير والبعد عن الملل والسآمة، وبالله التوفيق» «فتاوى اللجنة الدائمة» (٨/ ٢٣٨).

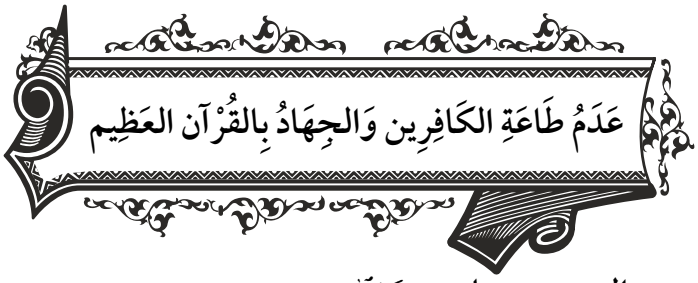

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«هذه الآية[1] نصٌّ صريح في أنَّ الجهاد في الدَّعوة إلى الله وإحقاق الحق من الدِّين، وإبطال الباطل من شُبَه المشبِّهين وضَلَالات الضَّالين، وإنكار الجَاحدين، هو بالقرآن العظيم.

ففيه بيان العقائد وأدلَّتها، ورد الشُّبه عنها.

وفيه بيان الأخلاق محاسنها ومساويها، وطرق الوصول إلى التَّحلِّي بالأولى، والتَّخلِّي عن الثَّانية ومعالجتها.

وفيه أصول الأحكام وعللها.

وهكذا فيه كل ما يحتاج إليه المجاهد به في دين الله.

فيستفاد منها كما يستفاد من آيات أخرى غيرها، أنَّ على الدُّعاة والمرشدين أَنْ تكون دعوتهم وإرشادهم بالقرآن العظيم» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ٧٣).

---

(١) قول الله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾[الفُرْقَان].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذه سورة مكية أمر فيها بجهاد الكفار، بالحُجة، والبيان، وتبليغِ القرآن، وكذلكَ جهادُ المنافقِينَ، إنما هو بتبليغ الحُجَّة، وإلا فهم تحت قهر أهلِ الإسلام» «زاد المعاد» (٣/ ٥).

الخَوْفُ مِنَ الله

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لمَّا ذَكَر حُسْن سلوكهم مع الخلق، واجتهادهم في عبادة الحق، ذَكَر خوفهم مِن ربِّهم، واعتمادهم عليه في نجاتهم، وعدم اعتزازهم بأعمالهم، فَهُم يأتون ما يأتون مِنْ محاسن الأعمال، ولا يَعْتَمِدُون إلاَّ على الكبير المُتَعال» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ٩٦)[1].

---

(١) يقصد الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾[الفرقان].

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ الله خلق الخلق ليَعْرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه، ونصب لهم الأدلَّة الدَّالة على عظمته وكبريائه ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه الَّتِي أعدَّها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال، ولهذا كرَّر سبحانه وتعالى في كتابه ذكر النَّار وما أعدَّه فيها لأعدائه من العذاب والنَّكال، وما احتوت عليه من الزَّقوم والضَّريع والحميم والسلاسل والأغلال، إلى غير ذلك مما فيها من العظائم والأهوال» «التخويف من النار» ص١٧).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إنَّ جهنَّم هي أقبحُ مستقرٍّ وأقبح مقام.

وإنّ الدُّنيا هي مطيَّة الآخرة؛ فمن ساء مستقره ومقامه في الدنيا، ساء كذلك مستقره ومقامه في الآخرة.

وإن ملازمة العذاب في الآخرة على قدر ملازمة المعاصي في الدنيا؛ فمن لازمها بالكفر، ومات عليه، دامت له تلك الملازمة، ومن لازمها بالإصرار على الكبائر كانت له، على حسب تلك الملازمة.

فعلى العاقل أن يحسن مقره ومقامه، وأن يجتنب كل موطن تلحقه فيه الملامة، وأن يجتنب مجالس السوء والبدعة، ويلازم مجالس الطاعة والسنة.

وأن يسرع بالتوبة مفارقًا الذنوب، وألا يصر على شيء من القبائح والعيوب.

وأن يكون سريع الرجوع إلى الله ولو عظم ذنبه وبلواه، فالله يحب التوابين ويغفر للأوابين جعلنا منهم أجمعين آمين» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ٩٩)[1].

(١) «تأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا، فبينما هم في كربها وأهوالها =

=

وقوفا ينتظرون حقيقة أنبائها، وتشفيع شفعائها، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب،وجثت الأمم على الركب،حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب، وخرج المنادي من الزبانية قائلا: أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل، المضيع عمره فى سوء العمل، فيبادرونه بمقامع حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه فى قعر الجحيم، ويقولون له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[الدُّخَانِ]، فأسكنوا دارا ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك، قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود، فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان، فاخسئوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون، فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا فى جنب الله يتأسفون، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف، بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم، فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران، وضرب المقامع وثقل السلاسل فهم يتجلجلون فى مضايقها،ويتحطمون فى دركاتها، ويضطربون بين غواشيها، تغلي بهم النار كغلي القدور، ويهتفون بالويل والعويل ومهما دعوا بالثبور صب ﴿مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم، وننقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم، ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف شعورها بل جلودها، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها..» «موعظة المؤمنين من إحياء

=

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«حالة وطننا في الأعم الأغلب في الولائم والمآتم لا تخلو من السَّرف فيها، الَّذي يؤدِّي إلى التَّقتير من بعدها فيكون الإثم قد أصاب صاحبها بنوعيه، وأحاط به من ناحيتيه، والشَّر يجر إلى الشَّر، والإثم يهدي إلى مثله، وعلى «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» علق كثير ممَّن سمعناهم يشكون هذه الحالة- آمالهم في معالجتها، خصوصاً في المآتم.

حَقَّق الله الآمال.

وثم نوع آخر موجود في غالب القطر، وبكثر في بعض الجبال.

وهو أن بعض المأمورين من شيوخ الطوائف، يأتون بثُلَّة من أتباعهم، فينزلون على المنتمين إليهم من ضعفاء النَّاس، فيذبح لهم العناق إن كانت، ويستدين لشرائها إن لم تكن، ويفرغ المزاود، ويكنس لهم ما في البيت، ويصبح معدماً فقيراً مديناً، ويصبح من يومه صبيته يتضاغون، ويمسي أهل ذلك البيت المسكين يطحنهم البؤس، ويميتهم الشقاء ميتات متعددة في اليوم.

=

علوم الدين» (ص٤٨٣).

وشر ما في هذا الشر أنه يرتكب باسم الدين، ويحسبه الجهال أنه قربة لرب العالمين: فأما إذا جاء وقت شد الرحال إلى الأحياء والأموات، وتقديم النذور والزيارات، فحدث هنالك عن أنواع السَّرف والكلفات، والتضييع للحقوق والواجبات.

نصيحة:

فيا ليت الذين تأتيهم تلك الوفود ويسألونهم فرداً فرداً عن حالهم، ومن أين بما جاؤوهم به من أموالهم؛ فعساهم أن يطلعوا على بؤس أولئك المساكين فترق لهم قلوبهم، ويرجعوا إليهم مالهم أو يزيدوهم من عندهم، وليقتصروا على من يجدونهم أهل قدرة على ما دفعوه لهم من أموالهم.

فهذه نصيحة إذا عملوا بها خففت من الشر والبؤس عن الزائرين، ومن الإثم واللوم عن المزورين.

فهل بها من عاملين؟

وفقنا الله والمسلمين» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ١٢٩)[1].

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما كان اعتدالُ البدن وصحته وبقاؤه إنما هو بواسطة الرطوبة المقاوِمةِ للحرارة، فالرطوبة مادته، والحرارةُ تُنضِجُهَا، وتدفع فضلاتِها، وتُصلحها، وتلطفها، وإلا أفسدتْ البدن ولم يمكن قيامُه، وكذلك الرطوبةُ هى غِذاءُ الحرارة، فلولا الرطُوبة، لأحرقتْ البدن وأيبَسَتْه وأفسدته، فقِوامُ كُلِّ واحدة منهما بصاحبتها، وقِوام البدنِ بهما جميعـًا، وكُلٌ منهما مادة =

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إِنَّمَا ضُوعِفَ لأهل هَذِه الكبائر(١) العذاب، لأنَّ كلَّ كبيرة منها مضاعفة

=

للأُخرى، فالحرارة مادة للرطوبة تحفظها وتمنعها من الفساد والاستحالة، والرطوبة مادة للحرارة تغذُوها وتحمِلُها، ومتى مالتْ إحداهما إلى الزيادة على الأُخرى، حصل لمزاج البدن الانحرافُ بحسب ذلك، فالحرارةُ دائماً تُحَلِّلُ الرطوبة، فيحتاجُ البدن إلى ما به يُخلَف عليه ما حلَّلتْه الحرارة لضرورة بقائهِ وهو الطعامُ والشرابُ، ومتى زاد على مقدار التحللِ، ضعُفتِ الحرارةُ عن تحليل فضلاته، فاستحالتْ موادَّ رديئة، فعاثتْ فى البدن، وأفسدتْ، فحصلت الأمراضُ المتنوعة بحسب تنوُّع موادِّها، وقبولِ الأعضاء واستعدادِها، وهذا كُلُّه مستفَادٌ من قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١]» «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٤/ ٢١٣).

وعَنِ المِقدامِ بنِ مَعدِ يكرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «ما مَلأ آدميٌّ وِعاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدمَ أَكَلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ كَانَ لا مَحالَةَ، فَثُلُثٌ لِطعامِهِ، وثُلُثٌ لِشَرابِهِ، وثُلُثٌ لِنَفسه» رواهُ أحمَدُ، والتِّرمِذيُّ، والنَّسائيُّ، وابنُ ماجَهْ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٦٥).

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الْكَبَائِرُ**:هِيَ مَا فِيهَا حَدٌّ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ: كَالزِّنَا وَالسَّرِقَةِ وَالْقَذْفِ الَّتِي فِيهَا حُدُودٌ فِي الدُّنْيَا، وَكَالذُّنُوبِ الَّتِي فِيهَا حُدُودٌ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْوَعِيدُ الْخَاصُّ، مِثْلُ الذَّنْبِ الَّذِي فِيهِ غَضَبُ اللهِ وَلَعْنَتُهُ أَوْ جَهَنَّمُ؛ وَمَنْعُ الْجَنَّةِ كَالسِّحْرِ وَالْيَمِينِ الْغَمُوسِ =

المفاسد والشُّرور.

ففي دعاء غير الله الجهل بالله، والكفر بنعمة الله، والإبطال لحق الله.

وفي قتل النَّفس تَأْيِيم وتَيْتِيم وتَأْلِيم لغير من قتل وفتح لباب شرٍّ بين أولياء القاتل والمقتول، وتَعَدٍّ على جميع النَّوع، وتهوين لهذا الجرم الكبير.

وفي الزِّنا جناية على النَّسل المقطوع، وعلى من أدخل عليهم مِنَ الزِّنا من ليس منهم، وعلى أصحاب الإرث في خروج حقِّهم لغيرهم، وغير ما ذكرنا في جميعها كثير، فكانت المضاعفة من باب جعل الجزاء من جنس العمل، وهو من مقتضى الحكمة والعدل.

تذكير:

يُذَكِّرنا القرآن بمضاعفة العذاب على كبائر الآثام، لنذكر عندما تحدِّثُنا أنفسنا بالمعصية سوء عاقبتها، وتعدد شرورها، وتشعب مفاسدها، ومضاعفة العذاب بحسب ذلك عليها، لنزدجر وننكف، فنسلم من الشر المتراكم، والعذاب المضاعف، ونفوز بأجر التذكر وثمرة التذكير.

جعلنا الله والمسلمين ممن انتفع بالذكرى، وسلم من فتن الدنيا والأخرى، بمنه وكرمه آمين» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ١٤٠).

= وَالْفِرَارِ مِنْ الزَّحْفِ وَعُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ وَشَهَادَةِ الزُّورِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ» «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦٥٨).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ومن تاب التوبة[1] الصادقة، وعمل عملاً صالحـًا دليلاً على صدق توبته، فإنه يرجع إلى الله الذي يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويحسن لقاءهم ويجزل ثوابهم- رجوعـًا وأي رجوع: رجوع العز والتكريم إلى الحليم الكريم!.

ترغيب:

دعا الله بهذا عباده المُذْنِبين حتَّى لا يتسرَّب القُنُوط إلى قلوبهم، وهو محرَّم عليهم، ولا يحول بينهم وبين خالقهم ذنب وَإِن عَظُم.

ورغَّبهم في التَّوبة بأنَّها رجوع إليه وكفى، وأنَّ الرُّجوع إليه فيه مِنَ الخير والشَّرف فوق ما تصوره الألفاظ.

فما أحلمه من رب كريم، وما أرحمه بعباده المذنبين!

---

(١) التَّوْبَةُ: «هِيَ الرُّجُوعُ مِمَّا يَكْرَهُهُ الله ظَاهِرًا وَبَاطِنًا إِلَى مَا يُحِبُّهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنا» «مَدَارِجُ السَّالِكِين» (١/ ٣٦٠).

وَ«يَجْمَعُهَا أَرْبَعَةُ أَشْيَاء: الاسْتِغْفَار بِاللِّسَان، وَالإِقْلَاعُ بِالأَبْدَان، وَإِضْمَارُ تَرْكِ العَوْد بِالجَنَان، وَمُهَاجَرَةُ سَيِّءِ الإِخْوَان» «المرجع السابق» (١/ ٣١٠).

فهذا داعي الله فأجيبوه، وهذا باب الله فلجوه؛ فإنكم مهما رجعتم إليه لا تطردوا، ومهما قصدتم إليه تقبلوا وتكرموا.

اللهم فكما فتحت لنا بابك فوفقنا إليه، وتب علينا لنتوب، إنك أنت التواب الرحيم» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ١٥٢).

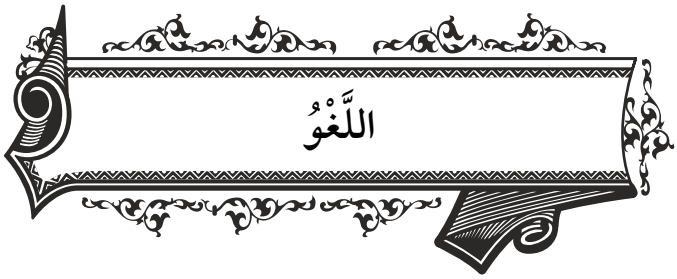

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«في الإقبال على اللَّغو شُغْلٌ للبال به، وتكديرٌ للخاطر بظلمته، وتضييع للوقت فيه، ولكلِّ كلمة تسمعها أو فعلة تشهدها أثر في حياتك وإن قلّ.

وقد يعقبها ضدّها فتزول بعدما شغلت وعطلت، وقد يردفها مثلها فتثبت وتنمو وتسوء عاقبتها ولو بعد حين.

وبقدر ما تلتفت إلى اللَّغو تلتفت عن كرمك، وبقدر ما يعلق بك منه ينقص من ذكائك.

وبقدر ما تتساهل بالوقوف عليه تقرب من الدخول فيه، وإذا دخلت فيه واستأنست بأهله جرك إلى الزور وعظائم الأمور.

وللشر أسباب متواصلة، وأنساب متصلة يؤدي بعضها إلى بعض، فينتقل المغرور الغافل من خفيها إلى جليها، ومن صغيرها إلى كبيرها.

فالحازم من لم يسامح نفسه في قليلها، ويباعد كل البعد عنها وعن أهلها، وقد هدتنا هذه الآيات لنهتدي، وذكرت عباد الرحمن لنقتدي» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ١٦٠)[1].

---

(١) «﴿ مَرُّواْ بِاللَّغۡوِ ﴾: وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فيه فائدة دينية ولا دنيوية ككلام السفهاء =

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ومن صفات عباد الرَّحمن: أنَّهم إذا ذكَّرهم مذكِّر بآية ربِّهم الَّتي أنزلها على نبيهم ﷺ بما فيها من ذكر مخلوقاته وإنعاماته، وأيَّامه في أوليائه وأعدائه، ووعده ووعيده، وترغيبه وترهيبه- أقبلُوا عليها، وأكبُّوا على سماعها، بآذان واعية، وأبصار راعية، وقلوب حاضرة، وعقول متدبِّرة، لا كمن يقبلون عليها ويكبون على سماعها، ولكنَّهم لا يسمعون ولا يُبْصرون، لأنَّهم لا يعقلون ولا يتدبَّرون»« مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ١٦٢)[1].

= ونحوهم ﴿مَرُّواْ كِرَامًا﴾ أي: نزهوا أنفسهم وأكرموها عن الخوض فيه ورأوا أن الخوض فيه وإن كان لا إثم فيه فإنه سفه ونقص للإنسانية والمروءة فربأوا بأنفسهم عنه.

وفي قوله: ﴿مَرُّواْ بِاللَّغْوِ﴾: إشارة إلى أنَّهم لا يقصدون حضوره ولاسماعه، ولكن عند المصادفة الَّتي من غير قصد، يكرمون أنفسهم عنه» «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص٥٨٧).

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قاعدة جليلة:

إذا أردت الانتفاع بالقرآن: فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، والق سمعك واحضر حضور من =

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أولئك الَّذين ذكرت صفاتهم وأفعالهم(١)، يعطون جزاء أعمالهم البيوت العلالي في الجنَّة، بسبب صبرهم، وحبسهم لأنفسهم على الطَّاعات

=

يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنَّه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق]، وذلك أنَّ تمام التَّأثير لمَّا كان موقوفا على مؤثر مقتض ومحلّ قابل وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الَّذي يمنع منه، تضمَّنت الآية بيان ذلك كلّه بأوجز لفظ وأبينه وأدلّه على المراد، فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ﴾ أشار إلى ما تقدم من أول السورة إلى هنا وهذا هو المؤثر، وقوله: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾فهذا هو المحل القابل، والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله كما قال تعالى:﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا﴾ [يٰسٓ]، أي حي القلب وقوله: ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ﴾ أي وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له وهذا شرط التأثر بالكلام، وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي شاهد القلب حاضر غير غائب... فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر» «الفوائد» (ص٣).

(١) أي: عباد الرحمن الَّذين ذُكِرُوا في خاتمة ﴿سورة الفرقان﴾.

والمجاهَدَات وكفِّهم لها عن المعاصي والشَّهوات، وتتلقاهم الملائكة بالتَّحية والسَّلام، باقين في هذا النَّعيم المقيم، وسكنى علالي الجنَّة الَّتي هي أحسن مستقر ينتهي إليها الإنسان ومقام يمكثُ فيه» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ١٧٧).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«هؤلاء هم السَّالكون وما ذكر من أعمالهم وأحوالهم هو سلوكهم،ولمَّا سلكوا الصِّراط المستقيم بالعمل المستقيم انتهى بهم السَّير إلى أحسن قرار ومقام، إلى دار النَّعيم المقيم في جوار الرَّحمن الرَّحيم[1]، فإذا اشتقت إلى

---

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهم (أي أهل الجنة) في روضات الجنة يتقلبون، وعلى أسرَّتها تحت الحجال يجلسون، وعلى الفرش التي بطائنها من إستبرق يتكئون، وبالحور العين يتنعمون، وبأنواع الثمار يتفكهون ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الواقعة].

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾[الزخرف].

تالله لقد نودي عليها في سوق الكساد فما قلَّب ولا أستام ! إلا أفرادٌ من العباد.

فوا عجبا لها كيف نام طالبها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها؟ وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها؟ وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها ؟وكيف قرت دونها أعين المشتاقين؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين؟ وبأي =

نهايتهم فتمسَّك ببدايتهم وزن أعمالك بأعمالهم وأحوالك بأحوالهم، فإذا جعلت ذلك من همِّك، وحملت عليه نفسك بصادق عزمك وصبرت كما صبروا رَجَوتَ أن تَظْفَر بما ظفروا، فالله نسأل لنا ولك وللمُسلمين صحَّة الاقتداء وصدق الرَّجاء، وحسن الجزاء: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل] » «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ١٨٠).

=

شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين؟..» «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (ص٢٨).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الإنسان مهيَّأٌ للكمال بما فيه من الجزء النَّوراني العلوي، وهو روحه.

ومعرض للسُّقوط والنُّقصان بما فيه من أخلاط عناصر جزئه الأرضي الظلماني، وهو جسده.

ولا يخلص من كدرات جثمانه ولا ينجو من أسباب نقصانه إلاّ بعبادة رَبِّه، الَّتِي بها صفاء عقله، وزكاء نفسه، وطهارة بدنه في ظاهره وباطنه.

فبعبادة ربه يكمل فيرقى في مراتب الكمال، ويدنو مِنَ الملأ الأعلى، عند الرَّب الأعلى ذي الجلال والإكرام.

فالله طيب لا يقبل إلاّ الطيب، وإليه يصعد الكلم الطيب، ولا طيب ولا كمال إلاّ للعابدين، فلا قيمة ولا قبول لغيرهم عند رب العالمين.

إرشاد وتحذير:

قد بين لك الطريق الذي يوصلك إلى مولاك ويرقيك في مراتب كمالك وعلاك، وما هو إلاّ عبادة ربك: فكن عبدا له في اختيارك واضطرارك وفي جميع أحوالك.

واحذر أن تعتمد على شيء غير عبادته.

واحذر أن تتوجه بشيء من عبادتك لغيره.

ومن عبادتك - بل هو مخ عبادتك - دعاؤك وسؤالك واستغاثتك.. فإياك إياك أن تتوجه منه بشيء لغيره، فكن دائما عبداً لله، وكن دائمـًا عبداً له وحده، فذلك حقه عليك، وذلك السبب الوحيد الذي ينجيك ويعليك.

والله نسأل أن يقصرنا على عبادته، ويديمنا على الإخلاص في التوجه إليه، حتى نلقاه على ملة الإسلام، وهدى عباده الصالحين، آمين يا رب العالمين»

«مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ١٨٦)[1].

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أوامر المحبوب سبحانه وتعالى قرَّة العيون وسرور القلوب، ونعيم الأرواح، ولذَّات النُّفوس، وبها كمال النَّعيم فقُرَّةُ عين المحبّ في الصَّلاة والحج، وفرح قلبه وسروره ونعيمه في ذلك،وفي الصِّيام والذِّكر والتِّلاوة، وأمَّا الصَّدقة فعجب من العجب، وأمَّا الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،والدَّعوة إلى الله والصَّبر على أعداء الله سبحانه فاللَّذة بذلك أمر آخر لا يناله الوصف، ولا يدركه من ليس له نصيب منه، وكل من كان به أقوم كان نصيبه من الالتذاذ به أعظم» «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص١٠١).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إن الله تعالى أعطانا العقل، الذي به ندرك الآيات التي نصبها لنا؛ لنستدل بها على وجوده ووحدانيته وقدرته، وعلمه وحكمته، ولطفه ورحمته.

وبالنظر في هذه الآيات نصل- بتيسير الله- بعقولنا إلى إدراك بدائع عجيبة، وأسرار غريبة، ما تزال تتجلى لنا ما دمنا نتأمل فيها، ونعتبر بها.

وما يزال الإنسان يكتشف منها حقائق مضت عليها أزمان، وهو يعدّها من المحال، ويجتني منها فوائد ما كانت تخطر له- في أحقابه الماضية- على بال»« مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ٢٥٣)[1].

---

(١) **تنبيه:**

ذهب بعض أهل البدع والأهواء إلى أنَّ أوَّل واجب على المكلَّف هو النَّظر أو القصد إلى النَّظر، وهذا مردود بالكتاب والسنَّة الصَّحيحة.

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَا النَّظَرُ، وَلَا الْقَصْدُ إِلَى النَّظَرِ، وَلَا الشَّكُّ، كَمَا هِيَ أَقْوَالٌ لِأَرْبَابِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ. بَلْ أَئِمَّةُ السَّلَفِ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ الْعَبْدُ الشَّهَادَتَانِ، وَمُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ قَبْلَ الْبُلُوغِ لَمْ يُؤْمَرْ بِتَجْدِيدِ ذَلِكَ عَقِيبَ بُلُوغِهِ، بَلْ يُؤْمَرُ بِالطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ أَوْ مَيَّزَ عِنْدَ مَنْ يَرَى =

الحُرُوفُ المُقَطَّعَة[1]

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قد افْتُتحت هذه السُّور مِنَ القرآن العظيم بكلماتِ التَّنْبيه، وجاءتْ أوَّل سورة منه بعد الفاتحة مفتتحة به.

فلتكن عند قراءته في انتباه، وإقبال على استيعاب لفظه، وتفهُّم معناه، فإنَّ التَّالي للقرآن والسَّامع له في حضرة الرَّب على بساط القُرب، والغفلة في هذا المقام من قلَّة الأدب.

ومن قلَّ أدبه في مقام الإحسان والكرامة، استوجب أضعاف ما يستوجبه غيره

= ذَلِكَ، وَلَمْ يُوجِبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى وَلِيِّهِ أَنْ يُخَاطِبَهُ حِينَئِذٍ بِتَجْدِيدِ الشَّهَادَتَيْنِ، وَإِنْ كَانَ الْإِقْرَارُ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَاجِبًا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَوُجُوبُهُ يَسْبِقُ وُجُوبَ الصَّلَاةِ، لَكِنْ هُوَ أَدَّى هَذَا الْوَاجِبَ قَبْلَ ذَلِكَ»«شرح العقيدة الطحاوية» (ص٢٨)، وانظر كلاما مهما في ذلك الموضع.

(١) **فائدة:**

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «مجموع الحروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفًا، وهي: ا ل م ص ر ك ي ع ط س ح ق ن، يجمعها قولك: نص حكيم قاطع له سر.

وهي نصف الحروف عددًا، والمذكور منها أشرف من المتروك، وبيان ذلك من صناعة التصريف» «تفسير القرآن العظيم» (١/ ١٥٩).

من العتب والملامة، وتعرَّض لمُوجِبات الحسرة والنَّدامة.

فالله نسأل أنْ يجعلنا من قرآنه على انتباه واستحضار، آناء اللَّيل وأطراف النَّهار، العاملين به بالعشي والإبكار، إنَّه الجواد الكريم السَّتَّار[1]« مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ٢٦١).

(١) قال الشيخ المحقق أبو عبد الرحمن محمود الجزائري حفظه الله: أسماء الله توقيفية، وليس من أسمائه تعالى الثابتة في الكتاب والسنَّة الصَّحيحة اسم «السّتار»، والله أعلم.

قلت: بل من أسماء الله تعالى الستِّير كما ورد في الحديث الصحيح أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ» رواه أبو داود (٤٠١٢)، والنسائي (٤٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٥٦).

«والستير أي: الساتر الذي يستر على عباده كثيرا، ولا يفضحهم في المشاهد، الذي يحب من عباده الستر على أنفسهم ما يفضحهم ويخزيهم ويشينهم، وهذا فضل من الله ورحمة، وحلم منه سبحانه وكرم، فالعبد قد يقارف شيئا من المعاصي والآثام، مع فقره الشديد إلى ربه سبحانه، حتى لا يمكنه أن يعصي إلا أن يتقوى عليها بنعم الله عليه بالسمع والبصر واليد والقدم والصحة والمال ونحو ذلك....» «فقه الأسماء الحسنى» (ص٣٥٤).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فالحكمة هي العلم الصَّحيح الَّذي يُمْسك صاحبه عن الجَهَالات والضَّلالات والسَّفالات، فيكون ذا إدراك للحقائق قويم وخلق كريم، وعمل مستقيم لا يَحْكم إلاّ عن تفكير، ولا يقول إِلاَّ عن علم، ولا يفعل إلاّ على بصيرة؛ فإذا نظر أصاب، وإذا فعل أصاب، وإذا نطق أتى بفصل الخطاب» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ٢٦٢)[1].

(١) قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ عن الحكمة: «وهي العلم النَّافع والعمل الصَّالح ومعرفة أسرار الشَّرائع وحكمها، وإنَّ من آتاه الله الحكمة فقد آتاه خيرًا كثيرًا وأي خير أعظم من خير فيه سعادة الدَّارين والنَّجاة من شقاوتهما! وفيه التَّخصيص بهذا الفضل وكونه من ورثة الأنبياء، فكمال العبد متوقف على الحكمة، إذ كماله بتكميل قوتيه العلمية والعملية فتكميل قوَّته العلمية بمعرفة الحقّ ومعرفة المقصود به، وتكميل قوته العملية بالعمل بالخير وترك الشر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره، وبدون ذلك لا يمكنه ذلك» «تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان» (ص١١٥).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أَقسم الله تعالى بالقرآن الحكيم على أنَّ محمَّداً ﷺ مِنَ المُرْسلين ردًّا على مَنْ قَالوا: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرَّعْد: ٤٣]، في حال أنَّه على دين الإسلام الَّذي بعثه الله، ثَابتًا عليه في عقده وقوله وفعله وجميع أمره.

وأخبر تعالى أنَّ هذا الإسلام الَّذي جاء به النبي ﷺ نزَّله عليه القَوِيُّ الغَالب الَّذي لا يغالب، العديم الشبه والنظير، والمنعم الدائم الإنعام المستمر الإحسان.

وبيَّن تعالى أنَّه كان من المرسلين ليُنْذر الأمَّة العربيَّة، ويُعلِّمُها سوء عاقبة مَا هِي عليه مِنَ الشِّرك والضَّلال.

تلك الأمَّة الَّتي ما أُنذر آباؤها، فهي مشتغلة بما توارثته من آبائها مِنْ عِبَادة الأوثان وارتكاب الإثم والعدوان، وأنكل الضَّلال والخسران، معرضة عن توحيد خالق الأرض والسَّموات، وعن النَّظر فيما نصب للدلالة عليه من الآيات، طال عليها أمد الجهالة، واستولت عليها أسباب الضَّلالة، فتمكَّنت منها الغفلة التمكّن التَّام؛ فذهبت في أوديتها البعيدة المدى، كالأنعام أو أضل من

الأنعام»«مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ٢٦٣)[1].

(١) قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«بعث محمَّدا ﷺ على فترة من الرُّسل، وطموس من السُّبل، وتغير الأديان، وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أمر عمم، فإن الفساد كان قد عم جميع البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد، إلا قليلا من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، من بعض أحبار اليهود وعباد النصارى والصابئين» «تَفْسِيرُ القُرْآنِ العَظِيمِ» (٢/ ٥١).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فعلى من يريد النَّجاة من المهالك والفوز بأسنى المطالب وأعلى المراتب، أن ينضم إلى القافلة الربَّانية، يتعاون مع أفرادها، ويقوم بحق الرفقة فيها، ويعدّ نفسه جزءاً منها: لا سلامة له إلاّ بسلامتها؛ فهو يحبُّ لكلِّ واحد منها ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لها، ويهديه إلى ما يهديها إليه من خير؛ ويقيه ممَّا يقيها منه من سوء.

وأن يطيع أولئك الأدلَّة، ويقتفي آثارهم، وينزل بنزولهم، ويرتحل بارتحالهم، وأن يرجع في معرفة وجوه السِّير وأصنافه وأوقاته ومنازله إليهم، دون أدنى اعتراض ولا مخالفة.

ويقابل ما يتحملونه من مشاق الدَّلالة ومتاعب القيادة بغاية ما يستطيع من الأدب معهم، والتعظيم والانقياد لهم، والمحبَّة فيهم، وحسن الثَّناء عليهم، وطلب عظيم الجزاء من الله تعالى لهم على عظيم إحسانهم.

وأن يلزم ذلك الطريق[1]، ويسير في سوائه غير مائل إلى جنباته، ولا ذاهب في

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الطريق إلى الله واحد، فإنَّه الحقُّ المبين، والحقُّ واحد مرجعه إلى واحد، وأمَّا الباطل والضَّلال فلا ينحصر بل كل ما سواه باطل، وكل طريق إلى الباطل فهو باطل، =

بنيَّاته.

لا مُفْرِطًا في السير يسبق الرفقة فينفرد بلا دليل ولا مُفَرِّطًا فيه فيتخلف عنها بلا معين، نمطًا وسطًا مع الجماعة، لا من الغلاة ولا مع المقصرين.

وأن يستنير بما رفعه أولئك الأدلة من مصابيح الهداية، وأن يسير تحت أنوارها الساطعة، مفتح البصر للاستضاءة بها، غير مغلق الأجفان عنها، متعرفًا بها أديم الأرض، وموقع قدمه منها.

وأن يعرف عظيم الغاية التي هو سائر إليها، فيقصر همه كله في الوصول إليها، ويحضرها قلبه في كل لحظات سيره ليسرع مع الرفعة إليها، وتخف عليه مشاق الطريق واتعابها، ويعذب لديه كل ألم في الانتهاء إليها.

فبسلوك هذا الطريق القويم، بدلالة الرسول الكريم، وأنوار الكتاب المبين، إلى رب العالمين الرحمن الرحيم- كمال الإنسان العملي المبني على الكمال العلمي.

وقد اشتملت هذه الآيات[1] على ذكر السالكين، وهم المنذرون، وعلى الدليل وهو الرسول ﷺ، وعلى الطريق وهو "الصراط المستقيم" المنزَّل من الله، وعلى ما يبين الطريق، وهو القرآن الحكيم» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ٢٦٦).

= فالباطل متعدد وطرقه متعددة»«طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص٢٧٨).

(١) أي مطلع [سُورَةُ يسٓ].

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«السَّماء في اللُّغة هي كل ما علاك؛ فكلُّ ما علا الأرض من سحب وطبقات هواء وكواكب تسبح في الفضاء، وما وراء ذلك من القبة المحيطة الكبرى هو للأرض سماء، وكل هذه متقنة الصنع محكمة الوضع متلاحمة الأجزاء، مرتبط بعضها ببعض ارتباطاً مقدراً بالمسافات المدققة التي لا يكون معها تصادم ولا ارتخاء، ووضعها على هذه الصورة المنظمة المحكمة هو البناء، وعليها كلها ينبغي أن يحمل لفظ الآية المتقدمة[1].

وقد جاء لفظ السماء في القرآن مراداً به القبة المحيطة في مثل:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥]، ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ [الصافات].

وجاء مراداً به السَّحاب في مثل: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ [الزخرف: ١١].

---

(١) هي قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات].

فإنَّ المطر ينزل مِنَ السَّحاب لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾[: ٤٣].

وجاء مراداً به طبقات الجو في مثل: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾[: ٤٣].

والبَرَد يتكوَّن في طبقات الجوّ.

والمُتَتَبِّعُ لمواقع لفظة السَّماء مِنَ الكِتَاب العزيز يتحقَّقُ هَذَا»«مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير» (٢/ ٣١٣)[1].

---

(١) **فائدة:**

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«السَّمَاء تذكَّر وتؤنَّث، وتجمع على أسمية وسموات وسمي، على فُعول، قال العجاج:

تلُفُّـــــه الرِّيـــــاحُ والسُّـــــمِيُّ (في دق أرطـــــاة لهـــــا حنـــــى)

والسَّماء: كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء.

والسَّماء: المطر، سمي به لنزوله من السماء، قال حسان بن ثابت:

ديـــارٌ مـــن بنـــي الحســـحاس قفـــر تعفيهـــا الـــروامس والســـماء

وقال آخر:

إذا ســـقط الســـماء بـــأرض قـــوم رعينـــاه وإن كـــانوا غضـــابا

ويسمى الطين والكلأ أيضا سماء، يقال: ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم، يريدون الكلأ والطين.

ويقال لظهر الفرس أيضا سماء لعلوه، قال:

وأحمـــر كالـــديباج أمـــا ســـماؤه فَرَيّـــا وأمـــا أرضـــه فمحـــول

والسماء: ما علا، والأرض: ما سفل، على ما تقدم»«الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٢١٦).

من جميل كلام
الإمام عبد الحميد بن باديس في
«مجالس التذكير من حديث البشير النذير»

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«كما علينا أن نجتهد في تطهير أعمالنا من المخالفات وقصرها على الطاعات والمباحات -كذلك علينا أن نجتهد في طاعتنا أن تكون خالصة لوجه الله، وأن نبعد عنا كل خاطر يلفتنا إلى غيره حتى يسلم لنا القصد كله خالصا والعمل كاملا، أو يسلم لنا القصد الأول الذي هو شرط القبول، فإذا كان شيء آخر بعده يكون لاحقا وتابعا، وأن نتفقه ونتدبر بعد ذلك في نيتنا بطاعتنا فنوفرها ونستثمرها ونقصد بها ما حضرنا من وجوه الخير التي يمكن أن تقصد بها. وأن ننظر مثل ذلك في أعمالنا المباحة كأكلنا وشربنا ونومنا ومشينا وراحتنا ورياضتنا، فنقصد بها الاستعداد للطاعات والتقوى لفعل الخيرات وكل ما يمكن أن تؤدي إليه أو تعين عليه من معروف، فتصير أعمالنا المباحات من قسم الطاعات، فما أسعدنا حينئذ وما أعظم ثروتنا من الخير.

نحن لا نسلم من مخالفة وتقصير وفي ذلك علينا خسار كثير ولا يجبر ذلك الخسار إلا بسلوك هذا الطريق الشرعي القويم

فهلم أيها الإخوان في الله إليه، ففيه- والله- التجارة الرابحة، والحياة الناجحة

وإرضاء الرحمن وإرغام الشيطان والسعادة في الدارين» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ حَدِيثِ البَشِيرِ النَّذِير» (ص٦٢)[1].

(١) الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ صال وجال في العديد مما دبجته براعته في الكلام عن الإخلاص، ومن أجمل ما قاله: «لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلَّا كما يجتمع الماء والنَّار والضب والحوت، فإذا حدَّثتك نفسك بطلب الإخلاص فاقبل على الطَّمع أوَّلا فاذبحه بسكين اليأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زهد عشاق الدُّنيا في الآخرة، فإذا استقام لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح سهل عليك الإخلاص، فإن قلت وما الذي يسهل علي ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح؟

قلت: أما ذبح الطمع فيسهله عليك علمك يقينا أنه ليس من شيء يطمع فيه إلا وبيد الله وحده خزائنه لا يملكها غيره ولا يؤتي العبد منها شيئا سواه، وأمَّا الزهد في الثناء والمدح فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ويضر ذمه ويشين إلَّا الله وحده » «الفوائد»(ص١٤٣).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«علينا أن نعتقد بقلوبنا أنَّ الاتحاد واجبٌ، أكيد، محتَّم علينا مع جميع المؤمنين، وأنَّ فيه قوَّتنا وحياتنا، وفي تَركه ضعفنا وموتنا، وأن نُعْلن ذلك بألسنتنا في كلِّ مناسبة مِنْ أَحاديثنا، وأنْ نَعْمل على تحقيق ذلك بالفعل باتِّحادنا وتعاوننا مع إخواننا في كلِّ ما يقتضيه وصف الإيمان الجامع العام.

والله المستعان وعليه التُّكلان» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ حَدِيثِ البَشِيرِ النَّذِير» (ص٩٨)[1].

(١) قال العلامة محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإسلام دين الاتحاد والوفاق بكل عقائده وعباداته، وآدابه ترمي إلى الوفاق وتربّي على الوفاق وتدعو إلى الوفاق» «آثاره» «٤/ ٨٢».

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إذا نَظَرنا في حالة السَّواد الأعظم منَّا معشر المسلمين الجزائريين فإنَّنا نجدُ هذه الكلمات شائعة بينهم فاشية على ألسنتهم وهي (بْرَبِّي وَالشِّيخ) وهم يعنون أنَّ ما يفعلونه هو بالله وبتصرُّف الشَّيخ (بْرَبِّي وَالصَّالْحِين)، (بْرَبِّي وَالنَّاسْ المْلَاح)، (إِذَا حَبْ رَبِّي وَالشِّيخ) (شُوفْ رَبِّي وَالشِّيخ).

وهي كلُّها مِنْ كلمات الشِّرك كما ترى، فأمَّا قولهم: (بْرَبِّي وَالشِّيخ) ونحوه فمِمَّا لا يجوز أن يذكر فيه المخلوق مع الخالق قطعًا لأنَّ ما تفعله هو بالله وحده أي بتقديره وتيسيره ولا دخل للمخلوق فيه، وأمَّا قوله: (إِذَا حَبْ رَبِّي وَالشِّيخ) فمِمَّا لا يجوز إلَّا بلفظة ثُمَّ، فيكون بمعنى إذا شَاء الله ثُمَّ شَاء الشيخ إذا كان هذا الشيخ حيًّا وكان الأمر مِمَّا يمكن أَنْ تَدْخل مشيئته فيه.

ولقد شبَّ على هذه الكلمات ونحوها الصَّغير، وشاب عليها الكبير، وانقطع عنْهَا النَّهي والتَّغيير، حتَّى صارت كأنَّها مِنَ الكلمات المشروعة، وصار قلعها من الألسنة مِنْ أصعبِ الأمور، وأصبحت كلمة بالله وحده ونحوها مهجورة لديهم منسيَّة عندهم ثقيلة على أسماعهم ثقل من يدعوهم إليها ويلهج بها على

قلوبهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ حَدِيثِ البَشِيرِ النَّذِير» (ص١٥٨)[1].

(١) قال العلامة بكر بن عبد الله أبوزيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «أعظم الجوارح اختراقاً للحرمات هو " اللِّسان " في حالتيه:

متلفظاً، متكلماً بمحرَّم، أو مكروه، أو فضول، وما جرى مجْرى هذه الآفات مِنْ: "حصائد اللِّسان " و" قوارص الكلام" بدوافع: التَّعالي، والخِفَّة، والطَّيْش، والغَضَب....

وفي حالته ساكتاً عن حقٍّ، واجب، أو مستحب، بدافع: محرم، أو مكروه، كالمداهنة، والمجاملة، والملاينة، وربما تحت غِطاءِ: غضِّ النظر ؟ والتَّعقُّل، وإكساب النَّفس ميزان الثقل، والتأنِّي، ومعالجة الأمور.

وهكذا من مقاصد توضع في غير مواضعها، ونِيَّاتٍ تُبرقع بغير براقعها.

والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه» «معجم المناهي اللفظية» (ص٢١).

الحَمْوُ المَوْتُ

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

النَّاس- إلَّا مَن شاء الله- بهذا الحديث[1] جاهلون، وعن سوء العاقبة الَّتي حذَّر منها غافلون، وفي الهلاك الدِّيني والعرضي واقعون، فَحُقَّ على مَنْ قرأ هذا الحديث أن يُعَلِّمه للنَّاس وينشره فيهم ويحثَّ نفسه وإياهم على العمل به والسَّير على أدبه، ولا يستعظمنَّ ما يراه من جهل، فإنَّه ما جاء إلَّا من قلَّة نشر العلم فإذا نُشر العلم -ولو كان في أوَّله قليلًا- فإنَّه لا يلبث بإذن الله أَنْ يصيرَ كثيرًا، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[الذَّارِيَاتِ]«مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ حَدِيثِ البَشِيرِ النَّذِير» (ص١٦٣)[2].

---

(١) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ».

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟

قَالَ: «الْحَمْوُ الْمَوْتُ» رواه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

(٢) قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحمو: على وزن دَلو.

قال الليث بن سعد: هو أخ الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج ابن العم ونحوه.

فالأحماء أقارب الزوج، والأختان أقارب الزوجة، والأصهار يقال عليهما» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ حَدِيثِ البَشِيرِ النَّذِير» (ص١٦١).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ومهما أعدنا القول في هذا وأكدنا فإننا لا نفيه حقه من الإنكار والاستئصال لما نعلمه من رسوخ هذه الضلالة وقدمها والتهاون فيها وعظيم التجري على الله بها.

وهذا الحديث النبوي[1] هو دواؤها والقاطع لها، فليتأمله قراؤنا ولينشروه في المسلمين وليذيعوه بالتلاوة والتفسير والتأكيد والتقرير عسى أن يشفي الله به القلوب من داء الغلو والادعاء والغرور والتغرير، وليظن المسلم الخير بأهل الخير وليرج لهم حسن الجزاء والمصير كما رجا النبي ﷺ الخير لعثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد ما نهى عن الجزم بالكرامة له، وهذا هو دين الله الحق الوسط

(١) قول النبي ﷺ: «والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم» رواه البخاري (٧٠١٨)، قال الشيخ المحقق أبو عبد الرحمن محمود الجزائري حفظه الله: «وعليه ينبغي تجنب العبارات الجارية على الألسنة عند وفاة المسلم مثل: «إلى الرفيق الأعلى»، و«في ذمة الله»، و«المرحوم» ونحوها.

وانظر: «معجم المناهي اللفظية» للشيخ بكر أبوزيد رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ الخلاف في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٥١٨).

السالم من الغلو والتقصير.

والله نسأل لنا ولجميع المسلمين أن يقف بنا عند حدود الشرع الشريف، ويحفظنا من الغلو والتقصير والتحريف، إنه هو الولي الحفيظ اللطيف» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ حَدِيثِ البَشِيرِ النَّذِير» (ص١٨٠).

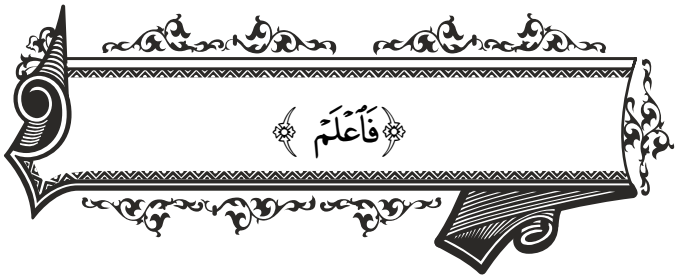

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«العلم قبل العمل ومن دخل في العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال ولا على عبادته من مداخل الفساد والاختلال، وربما اغتر به الجهال فسألوه فاغتر هو بنفسه فتكلم بما لا يعلم فضل وأضل....

نسأل الله الفقه في الدين وعمل الصالحين وتوبة الأوابين لنا ولجميع المسلمين آمين يا رب العالين» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ حَدِيثِ البَشِيرِ النَّذِير» (ص١٨٧)[1].

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فإنَّ أولى ما يتنافس فيه المُتَنافسون، وَأَحْرَى ما يتسابق في حَلَبَة سِبَاقِه المتسابقون، ما كان بسعادة العبد في معاشه ومعاده كفيلا، وعلى طريق هذه السَّعادة دَلِيلا، وذلك العلم النافع والعمل الصالح اللَّذان لا سعادة للعبد إلَّا بِهِمَا، ولا نجاة له إلَّا بالتَّعلق بسببهما، فمن رُزِقَهما فقد فاز وغَنِم، ومن حُرَمهما فالخير كلّه حُرِم» «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (ص ١٣).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فالمتخذ للمساجد على القبور ملعون بنص هذا الحديث الصحيح الصريح[1].

فيا أيها المؤمنون بمحمد ﷺ المصدقون لحديثه، إياكم والبناء على القبور، إياكم واتخاذ المساجد عليها إن كنتم مؤمنين، وعليكم بتبليغ هذا الحديث والتذكير به والتكرير لذكره يكن لكم أجر المجاهدين في سبيل رب العالمين،

---

(١) قول النبي ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» رواه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٣٠).

قال الإمام ابن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**ماذا كنت أقوم به في كل بلدة:**

كنت أزور في الأكثر قبل كل شيء المسجد لأن البداءة به هي السنة ولألفت نظر الأمة إلى حرمة المسجد وفضله وأنه هو الأحق بأن يقصد عند الملمات للوقوف بين يدي الله والحصول على أقرب أحوال العبد إلى مولاه وهي السجود فإن العامة فيما رأيت من كثير منهم يفزعون إلى البناءات المضروبة على الأضرحة ويظهرون فيها من الخشوع والخضوع ما لا أراه منهم في بيوت الله ومن ذا الذي يسوي بيت الخالق ببيت المخلوقين لولا انتشار الجهل وكثرة الغفلة والسكوت عن الحق وقعود من لا يجوز لهم القعود عن التعليم والتبيين ثم أزور» «آثَارُه» (٤/ ٣١٨).

وثواب العاملين لإحياء سنة سيد المرسلين، عليه وعليهم الصلاة والسلام أجمعين» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ حَدِيثِ البَشِيرِ النَّذِير» (ص١٩٣).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وجاء هذا الحديث[1] يبشر الأمة الإسلامية بما هيء لها من أسباب السيادة ويعرفها أنها أمة ملك وسلطان وقوة وأنها ستملك البحار، وتغزو الأمصار

---

(١) «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ، فَتُطْعِمُهُ، وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ.

قَالَتْ: فَقُلْتُ وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ الله؟

قَالَ: « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ، غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ، مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ، أَوْ مِثْلُ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ » - شَكَّ إِسْحَاقُ -.

قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ.

فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ، غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ». كَمَا قَالَ فِي الأَوَّلِ.

قَالَتْك فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ.

قَالَ: «أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ».

فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ، فَهَلَكَتْ» رواه البخاري (٢٧٩٩).

الكبار، يعرفها بهذا ويدعوها إليه لتعد له عدته وتأخذ له طريقه وتتوصل إليه بأسبابه. إذ لا يكون ملك إلا بأسباب الملك.

ولا تكون قوة إلا بأسباب القوة ولا تكون السيادة إلا بأسباب السيادة، وقد علمت من دينها أن السيادة لا تكون إلا بالملك، وأن الملك لا يكون إلا بالقوة: قوة الأبدان وقوة العقول وقوة الأخلاق وقوة المال- وبهذه يكون العدل الذي هو أساس الملك وأن لا قوة إلا بالعلم والعمل والتهذب، فإذا دعاهم هذا الحديث إلى السيادة فقد دعاهم إلى هذا كله ونبههم على هذا التقدير المحكم الذي ارتبط بعضه ببعضه، وعلى أنه لا سبيل إلى غايته إلا بإتيانه من بدايته، وقد فهم المسلمون هذا دهرا فسلكوه فأنجز لهم الله وعده، وجهلوه أدهارا فتركوه فأذاقهم الله بأسَه، وما ربك بظلَّام للعبيد، ولئن عادوا إليه ليعودن إليهم، ولن يُخلف اللهُ الميعادَ»«مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ حَدِيثِ البَشِيرِ النَّذِير» (ص٢٠٨)[1].

(١) قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما كان المسلمون أهل الإيمان والصدق والشكر والأمانة دافع الله عنهم وقد شهد التاريخ بذلك من الله لهم، فلما خانوا وكفروا تركهم ومكن منهم. ولكنه برحمته وعدله لم ينس لهم أصل إسلامهم فأبقى لهم أصل وجودهم الذاتي.

وهم لحم على وضم بين الأمم لا يستطيعون دفعًا عن أنفسهم. وأبقى لهم أصل وجودهم الروحي بكتابه المتلو بين ظهرانيهم رغم إعراضهم عن تدبره وهجرهم لما فيه- عساهم يرجعون» «آثاره»(١/ ٣٦٠).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«كانت عبادة الأوثان في الجاهلية بالخضوع والتذلل لها ورجاء النفع وخوف الضر منها، فينذرون لها النذور وينحرون لها النحائر يلطخونها بالدماء ويتمسحون لها.

وفي الناس اليوم طوائف كثيرة لها أشجار ولها أحجار تسميها بأسماء وتذكرها بالتعظيم وتذبح عندها الذبائح وتوقد عليها الشموع وتحرق عندها البخور وتتمسح بها وتتمرغ عليها. مثل فعل الجاهلية أو تزيد.

فصدق عليهم رسول الله ﷺ: «**وحتى يعبدوا الأوثان**»[1].

---

(١) رواه الترمذي (٢٢١٩).

قال الإمام محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فهذه القِباب المشيدة، وهي أوثان هذه الأمة، أضلت كثيرًا من الناس، وأكثر من الكثير، وافتتنوا بها، وبأسماء أصحابها حتى ألهتْهم عن دنياهم وأفسدت عليهم أخراهم، وغلوا في تعظيمها حتى أصبحت معبودة تُشَدُّ إليها الرحال، وتقرَّبُ لها القرابين والنذور، وتسأل عندها الحاجات التي لا تسْأَلُ إلّا من الله، ويحلف بها من دون الله، ويتآلى بها على الله، وما جَرَّ هذا البلاء على الأمة الإسلامية حتى أضاعت الدين والدنيا، إلّا سكوتُ العلماء عن هذه الأباطيل أول نشأتها، وعدمُ =

هذا كله واقع في الأمة لا شك فيه، وكما كان من نصح نبيها ﷺ أن أنذرها بوقوعه فيها قبل وقوعه - فإن من نصح علمائها لها أن يعرفوها به اليوم بعد وقوعه، ويصوروه لها على صورته الشركية الوثنية التي ينفر منها المسلم بطبعه.

ولو أن الأمة سمعت صيحات الإنكار من كل ذي علم لأقلعت عن ضلالها، ورجعت إلى رشدها فما أسعد من نصحها من أهل العلم وجاهد لإنقاذها، وما أشقى من غشها وزادها رسوخا في ضلالها، وتماديا في هلاكها، فحيهلا على العمل أيها المصلحون الناصحون المخلصون، فإن عهد الغش والخديعة قد آذن بذهاب، وأن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب» «مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ حَدِيثِ البَشِيرِ النَّذِير» (ص٢٢٤).

=

سدِّهم لذرائعها حتى طغت هذا الطغيان على عقول الأمة، ولو أنهم فقهوا الأمة في كتابِ ربها، وساسوها بسنة نبيها لكان لها من سيرة إبراهيم ومحمد عاصمٌ أي عاصم من هذا الشر المستطير» «آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي» (١/ ٣٩٧).

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«من هذا الغلام العربي في عباءته؟

من هذا الراعي الصغير في غنيمته؟

من هذا الصبي الناشيء على الحمل والرعاية من طفولته؟

من هذا اليافع الذي يأبى إلا أن يعيش من كد يمينه، ويأكل خبزه إلا بعرق جبينه؟.

هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يتيم الأبوين مكفول عمه أبي طالب، الذي كان يرعى غنما لأهل مكة لقومه وأهل بلده بالقراريط حتى لا يكون كلا على عمه. هذا هو المهيأ برعايته الغنم، لرعاية الأمم، هذا هو المنشأ على الكد في العمل الصغير، إعدادا له للنهوض بأعباء العمل الكبير، هذا هو المربي على العمل بالفلس، ليشب على خلق الاعتماد على النفس، هذا هو المعد لختم النبوة والرسالة وإظهار أكمل مثال للبشرية، يحمل أعظم آية من وحي الله، ويدعو إلى السعادة الدنيوية والأخروية وأقصى ما يمكن أن يصل إليه الناس من كمال.

شب محمد ﷺ يتيما في كفالة عمه، وكان عمه مقتراً في شظف من العيش، فأخذ محمد ﷺ يعمل بأجرة ليخفف على عمه ولما شب ضرب في الأرض تاجراً كعادة قومه، فلما ولد لأبي طالب علي كفله، وهو في الثلاثين، جزاء على كفالته.

فكان فيطفولته وشبابه وكهولته كواحد من قومه في عيشته وكسبه وأميته، وإن كان ممتازا بينهم لخلقه وفضله حتى بعثه الله نبيا ورسولا بما يستحيل- وقد عرفوا طفولته وشبابه وكهولته- أن يكون شيء منه من عنده، ولذا أمره الله أن يحتج عليهم بقوله:

﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[يُونُسَ].

كان محمد ﷺ ميسرا من طفولته لما كان عليه إخوانه من الأنبياء والمرسلين- صلوات الله عليهم- قبله محفوظا مما حفظوا ملهما ما ألهموا وقد ألهم الله الأنبياء قبله لرعي الغنم وهي حيوان ضعيف تمرينا على القيام على الضعاف بالحلم والرفق والشفقة وحسن الرعاية باختيار مسارحها ودفع العوادي عنها ودوام تعهدها وذلك كله تهيئة لم إلى ما يوكل إليهم من سياسة أمتهم» «مَجَالِسُ التَّذْكِيرِ مِنْ حَدِيثِ البَشِيرِ النَّذِير» (ص٣٤٠)[1].

(١) قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ:

=

قال الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إن الإنسان بجزئه الترابي، وهو بدنه- مخلوق أرضي، وبجزئه النوراني- وهو روحه- مخلوق سماوي، فإذا جذبه جزؤه الترابي بزمام الشهوة إلى السفليات الأرضية، طار به جزؤه النوراني على بساط العقل إلى علويات السماء.

«قال بعض السادة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]

كأنه يقول: من خيركم نفسا، وأطهركم قلبا، وأصدقكم قولا، وأزكاكم فعلا، وأثبتكم أصلا، وأوفاكم عهدا، وأمكنكم مجدا، من أكرمكم طبعا، وأحسنكم صنعا، وأطيبكم فرعا، وأكثركم طاعة وسمعا،من أعلاكم مقاما، وأحلاكم كلاما، وأوفاكم زماما، وأزكاكم سلاما، من أجلكم قدرا، وأعظمكم فخرا،وأكثركم شكرا، وأرفعكم ذكرا، وأعلاكم أمرا، وأجملكم صبرا، وأحسنكم خبرا، وأقربكم بشرا، من أبعدكم مكانا، وأعظمكم شأنا، وأرجحكم ميزانا، وأولكم إيمانا، وأوضحكم بيانا، وأفضلكم لسانا، وأظهركم سلطانا، وأبينكم برهانا، من أرسخكم قدما، وأبينكم علما، وأوصلكم رحما، وأبركم قسما، وأبعدكم كرما، وأرعاكم ذمما، من أسطعكم نورا، وأنوركم سرورا، وأجملكم حبورا، وأفضلكم حيا ومقبورا» «بستان الواعظين ورياض السامعين» (ص ٢٩٩).

وهو لن يزال دائما بين هذا وذاك في انحطاط واعتلاء.

لم يخلق الإنسان للأرض وإن خلق منها، وإنما خلق للسماء وللملإ الأعلى، وآخر كلمة قالها النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى» وإنما ينتهي إلى هذا بصفاء روحه واستنارة عقله، وما البدن الترابي إلا آلة لهما، لاستكمال قوتهما، ومظهر لتلك الاستنارة وذلك الصفاء.

وعيار على ما فيهما من قوة وضعف بما يكسبانه ويكتسبانه في طريق الاختبار والابتلاء. لينال الإنسان ما يستحقه على حسن تصرفه أو سوء تصرفه من عادل الجزاء، بعد خروجه من دار الفناء إلى دار البقاء.

فالجسد آلة بديعة للروح لازمة لها في الدنيا وملازمة لها في الأخرى، فمن العدل الإلهي أن يكون لها حظها هنالك كما كان لها حظها هنا، ومن العدل الواجب على الإنسان أن يعطيها -كما يعطي الروح- حقها من الاعتناء، فكما يغذي روحه بما ينير عقلها من العلوم والمعارف، وما يزكيها من الأخلاق والآداب، وما يقويها من صالح العمل، ومفيد السعي في وجوه الحياة، ويحفظها من كل ما يغشى العقل من جهالات وأوهام، وما يدسِّي النفس من رذائل، وما يضعفها من كسل وبطالة - كذلك عليه أن يغذي بدنه بما ينميه وما يصلحه وما يقويه، ويحفظه من كل ما يفسده أو ينهكه أو يؤذيه.

يتوقف هذا البدن وصلاحه على الغذاء، وقد جعل الله فيه وعاء وأي وعاء، وهو المعدة: مخزن الغذاء وبيت الداء وعلى حفظ نظام هذا الوعاء تترتب

الصحة والمرض والسقم والشفاء.

فإذا ملأ ابن آدم بطنه كان عليه شر وعاء، وانبعثت منه شر الأدواء: أسقام للبدن، وأثقال على الروح، وظلمات للعقل، فانقلب على الإنسان مع انتفاع به إلى أصعب الشر وأقسى البلاء.

وإذا اقتصر على أكلات تقيم الصلب وتمسك البدن حصل من البدن على العمل، وسلم من آلام المرض، ونعم بالعافية، وكان انتفاعه بالآلة البدنية خالصا من شوائب الضرر(١).

---

(١) عَنِ المِقدامِ بنِ مَعدِ يكرِبَ قالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «ما مَلأ آدميٌّ وِعاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدمَ أَكَلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ كَانَ لا مَحالَةَ، فَثُلُثٌ لِطعامِهِ، وثُلُثٌ لِشَرابِهِ، وثُلُثٌ لِنَفسه » رواهُ أحمَدُ والتِّرمِذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجَهْ.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الحديثُ أصلٌ جامعٌ لأصول الطب كُلِّها، وقد رُوي أنَّ ابنَ أبيماسويه الطبيبَ لمَّا قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيثمة، قال: لو استعملَ الناسُ هذه الكلمات، سَلِموا مِنَ الأمراض والأسقام، ولتعطَّلت المارستانات ودكاكين الصيادلة، وإنَّما قال هذا؛ لأنَّ أصل كلِّ داء التُّخَم، كما قال بعضهم: أصلُ كُلِّ داء البردةُ، وروي مرفوعـًا ولا يصحُّ رفعه.

وقال الحارث بن كَلَدَة طبيبُ العرب: الحِمية رأسُ الدواء، والبِطنةُ رأسُ الداء، ورفعه بعضهم ولا يصحُّ أيضـًا.

وقال الحارث أيضـًا: الذي قتل البرية، وأهلك السباعَ في البرية، إدخالُ الطعام على الطعام قبل الانهضام.

وقال غيره: لو قيل لأهل القبور: ما كان سببُ آجالكم ؟ قالوا: التُّخَمُ.

=

وإذا غلبته الشهوة، وكان- لا محالة- منقادا للذة، فليقف دون الشبع ولا يملأ كل الملأ المعدة حتى لا تثقل حركتها في الهضم، وحتى لا تنتفخ في البطن فتسد مجاري النفس، وبذلك يكون قد عدل بين أصول الحياة البدنية الثلاث طعامه وشرابه ونفسه، فأعطى لكل واحد الثلث من بطنه.

غير أن الإنسان إذا كان هكذا تغلبه الشهوة، وتقوده اللذة، فإنه بمظنة أن يتجاوز- ولو في بعض الأحيان- العدل إلى الامتلاء، فشرع له الصوم ليقاوم شر ذلك بما فيه من راحة للمعدة ونقاء، وتربية على امتلاك زمام نفسه عن الشهوات والملذات، وعلى استطاعة حملها على الجوع والعطش عند الاقتضاء، هذا للمعتدل وللمالئ للبطن الملوك للشهوة بالأحرى والأولى.

أما ذاك المقتصر على الأكلات فهو لهزيادة في القوة ورسوخ لما تمكن منه من العادة المشروعة الحسنة.

فالصوم ضرورة لنظام الغذاء وحفظ الصحة البدنية وعون للإنسان على حسن استعماله لآلته الترابية الأرضية للترقي إلى آفاقه الروحية النورانية وكمالاته العلوية.

= فهذا بعض منافع تقليلِ الغذاء، وتركِ التَّمَلِّي من الطَّعام بالنسبة إلى صلاح البدن وصحته.

وأما منافِعُه بالنسبة إلى القلب وصلاحه، فإنَّ قلةَ الغذاء توجب رِقَّة القلب، وقوَّة الفهم، وانكسارَ النفس، وضعفَ الهوى والغضب، وكثرةُ الغذاء توجب ضدَّ ذلك» «جامع العلوم والحكم» (ص٤٢٦).

فالحمد لله الذي شرع لنا الصيام وفرض علينا رمضان ووفقنا إلى القيام به في كل عام.

نسأله المزيد إنه الحميد المجيد»«مَجَالِسُ التَّذْكِير مِنْ حَدِيثِ البَشِيرِ النَّذِير» (ص٣٦٥).

مُقَدِّمَةٌ..... ٥
تَرْجَمَةٌ مُخْتَصَرَةٌ لِلْإِمَامِ عَبْد الحَمِيد بَنْ بَادِيس..... ١٢
مِنْ جَمِيلِ كَلَامِهِ فِي «مَجَالِسِ التَّذْكِير مِنْ كَلَامِ الحَكِيمِ الخَبِير»..... ١٧
حَاجَةُ الخَلْقِ إِلَى التَّذْكِير..... ١٨
عَظَمَةُ القُرْآن الكَرِيم..... ٢٠
دَعْوَةُ النَّبِيّ ﷺ..... ٢١
التَّفَاضُلُ بَيْنَ الدَّارَين..... ٢٣
اللِّسَان..... ٢٤
تَبْلِيغُ الدَّعْوَة..... ٢٥
القُرْآن شِفَاء..... ٢٧
الصَّالِحون والمُصْلِحون ٢٩
﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾..... ٣١
مِنْ إِعجازِ القرآن..... ٣٣
الفِتْنَةُ المَنْسِيَّة..... ٣٦

هَجْرُ القُرْآن..... ٣٩
خُطَبُهُم وَخُطَبُنا ٤٢
عَدَمُ طَاعَةِ الكَافِرِين، وَالجِهَادُ بِالقُرْآن العَظِيم..... ٤٣
الخَوْفُ مِنَ الله..... ٤٤
إِنَّهَا جَهَنَّم ٤٥
﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ ٤٧
﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ﴾..... ٤٩
﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾..... ٥١
اللَّغْو..... ٥٣
حُضُورُ القَلْبِ..... ٥٤
﴿وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ ٥٥
مِيزَانُ الاعْتِدَال..... ٥٧
﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ﴾..... ٥٩
﴿فَٱنظُرُواْ﴾..... ٦١
الحُرُوفُ المُقَطَّعَة..... ٦٢
الحِكمَةُ..... ٦٤
﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾..... ٦٥

القَافِلَةُ الرَبَّانِيَّة..... ٦٧
تَحْقِيقُ آيَةٍ كَوْنِيَّة مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّة..... ٦٩
مِنْ جَمِيلِ كَلَامِهِ فِي«مَجَالِس التَّذْكِير مِنْ حَدِيثِ البَشِيرِ النَّذِير» ٧١
إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَات..... ٧٢
الاتِّحَادُ وَاجِبٌ ٧٤
أَخْطَاءٌ لَفْظِيَّةٌ ٧٥
الحَمْوُ المَوْت ٧٧
لَا يُجْزَم بِالجَنَّةِ لِأَحَدٍ..... ٧٨
﴿فَٱعْلَمْ﴾ ٨٠
إِيَّاكُمْ وَالبِنَاءَ عَلَى القُبُور..... ٨١
مِنْ أَسْبَابِ السِّيَادَةِ..... ٨٣
عِبَادَةُ الأَوْثَان بَيْنَ المَاضِي وَالحَاضِر..... ٨٥
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ ٨٧
الإِنْسَانُ بَيْنَ الرُّوحِ والجَسَد..... ٨٩
الفهرس ٩٤